جامعة واسط
مجلـــة كليـــة التربيـــة

العـــــدد التاسع والثلاثون
الجزء الأول / أيار /٢٠٢٠

الحضارة الدينية وأهمية المقولة الفلسفية في حلِّ مشكلات الإنسانية

م. د. علي مهدي رضا الخرسان
" **جامعة الكوفة / كلية الفقه / قسم العقيدة والفكر**

الملخّص

يدور البحث في المعالجة التي يقدمها الدين من خلال رؤية فلسفية في حل مشاكل الإنسانية، وقد اعتمد في حركته بين مباحثه ومطالبه أموراً عدة هي الأهم بمنظار الباحث الذي تحرى أسباب المعالجة الحضارية ، وهي أولاً: بيان معالم الحضارة الدينية من خلال المرور بمعالم أضدادها من الشرك والكفر والجاهلية وعرض دورها في أمن الإنسان وسعادته، وثانياً: تحاشي مُعيقات الحضارةِ الدينية من خلالِ مقاومتها والقضاء عليها وإقصائها من مسرح الحياة، وثالثاً: إخراج الجانب العملي للمشيِّدين لصرح الحضارةِ الدينية من خلالِ استعراض نماذج عدة متميزةً من علماء الإمامية وفقهائهم خاصة. والإنتهاء الى التأكيد على حاجة الإنسان إلى خبرةٍ حضاريةٍ صالحةٍ لحياتهِ تدفعُ عنها الضر وتعالج لها ما أشكل عليها، وليست هي بنظر الباحث إلا حاجته إلى حضارةِ الرحمةِ التي بناها دينُ الله وأولياءِ الله تعالى بعرقهم ودمائهم والبعيدة عن روح العصبية والطائفية، وعن منهج الإرهاب الإجرامي، وعن الكفر والنفاق والشرك والجهل والطغيان، والتأكيد على مبايعتها ووضع اليد بيدها ويد المأمونين عليها.

Religious civilization and the role of the philosophical saying in solving the problems of humanity

M. Dr. Ali Mahdi Reza

University of Kufa / College of Jurisprudence / Department of Doctrine and Thought

summery

The research revolves on the treatment provided by religion through a philosophical vision in solving the problems of humanity, and has adopted in his movement between his researches and demands several things are the most important binoculars researcher who investigated the causes of civilization treatment, namely: First: Statement of the features of religious civilization through the passage of the contradictory features of polytheism and disbelief And ignorance and presentation of its role in human security and happiness, and secondly: Avoiding the impediments of religious civilization through resistance and elimination and exclusion from the theater of life, and third: the output of the practical side of the constructors of the edifice of religious civilization by reviewing several distinct models of scholars of the front and scholars especially. And to emphasize the need for human experience of civilization valid for his life paid by the damage and address them what I formed, and is not in the eyes of the researcher but the need for civilization of mercy built by the religion of God and the saints of God Almighty race and blood and away from the spirit of nervousness and sectarianism and the method of criminal terrorism and disbelief and hypocrisy Polytheism, ignorance and tyranny, and the emphasis on the pledge of allegiance and lay hands and safe hands on them.

المقدمة

مثَّل الرسولُ الاكرمُ هذه الرحمةَ الصريحة في قوله تعالى:"**وما ارسلناكَ إلا رحمةً للعالمين**" والتعاملَ بِها

ومثَّل المحبة بينَ المؤمنينَ التي ترسم صورة الجسد الواحد للمؤمنين في قوله : (صلى الله عليه وآله وسلم) "مثلُ المؤمنينَ في توادِّهِم وتراحُمِهِم كَمَثَلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منهُ عُضوٌ تَداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمّى " (١)

هكذا هيَ الغيرةُ الإيمانيةُ بينَ المؤمنينَ الذينَ يَحملونَ رسالةَ الإيمانِ يَتداعُونَ من أجل نُصرةِ بعضِهِم بعضاً، ومن أجلِ رحمةِ ومحبةِ بعضِهِم لبَعضٍ، حتى قال: (صلى الله عليه وآله وسلم) " لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسِه"(٢)؛ لأنَّ المؤمنَ من المؤمنِ نفسُه التي بَينَ جَنبيهِ، وهذه هي المدرسةُ النبويةُ المبنيةُ على فلسفةِ المحبةِ والرحمةِ لا مدرسةُ الدنيا التي لا تُخرِّجُ إلا الطامعينَ والجشعينَ الذي لا هَمَّ لهم في هذه الدنيا إلا أنفسَهم ومصالحَهم الشخصيةَ والإنشغالَ بها لا غير، أو لا همَّ لهم إلاَّ التشويشُ على غيرِهم وحسدهم من الذين رزقَهُم اللهُ محبتهِ ومحبةَ الناسِ وجعلَ لهم في قلوبِ الذين آمنوا وِدّاً.

إنَّ مسألةَ التعاملِ من خلالِ الرسالةِ الإلهيةِ والخطابِ النبويّ وفلسفة منهجه في الرحمة ليس مجردَ شِعاراتٍ وأقوالٍ إنَّما هي مسألةٌ تحتاجُ إلى برنامجٍ عمليٍّ يَدرُسُ مشاكلَ هذا الإنسانِ وما يعترضُه من عقباتٍ ومصاعبَ وأخطارٍ ومن ثُمَّ يَعملُ إلى طرح حلولٍ لها، عَلَّهُ أن يكونَ مُشاركاً في سعادةِ البشرية ورقيِّهم أو انتشالِهم من هذه المخاطرِ والصعوباتِ والعقباتِ.

ومن هذا المنطلقِ الإيمانيُّ وفلسفته في الرحمة والمحبة فإنَّنا نرى أن الأكملَ والأفضلَ في حلِّ مشاكلِ هذا الإنسانِ وحسمِها هو الأخذُ بيدِ المشتركِ بين النَّقلِ والعقلِ والمنهجِ الصحيح، النقلِ الذي يتخصصُ به مَن له إلمامٌ وخبرةٌ بالمُشكلِ أيّاً كان هذا المُشكل ومعالجة له، والعقلِ الذي يختارُ المنهج الفلسفي الأفضلَ والأولى في معالجةِ المشاكلِ في كلِّ عصرٍ ومِصرٍ، والذي يصيرُ التعاملُ به في رَفعِه ودفعِهِ.

إنَّ المتابعَ لمشاكلِ الإنسان المعاصرةِ يجدُ أنَّها طائفيةٌ قبلَ كلِّ شيءٍ تارةً، وإقليميةٌ وعنصريةٌ تارةً أخرى ، يلعبُ على وترِها الإحتلالُ المطرودُ من أرض الشعوب الحرة لعلَّه يستنزفُ قِواها ويُضعفُها ويحققُ في آخرِ الأمرِ مبتغاهُ ومصالحهُ.

فيا تُرى ماذا نقدِّمُ من حلولٍ لهذا المشكلِ الصعبِ والعويصِ ونحن نُدينُ بدينِ الرحمةِ والمحبةِ

والإنسانيةِ ونبغضُ دين الشدةِ والغلظةِ ؟

الجواب: إنَّ ما صَلُحَ به أمرُ الأمةِ في أولِ أمرِها يُصلَحُ به أمرُها في آخرِه، ولعلَّ هذا أولُ ما يقفزُ إلى الذهنِ في المقام. فهل ندعو إلى الرجوع إلى تلك الحلولِ الإصلاحية التي طالما حملها ونادى بها مصلحون على مدى قرون مضت أم ندعو إلى حلولٍ معاصرةٍ لا سيما وإنَّ أغلبَ البشريةِ اليومَ تدعو إلى ذلك، وتسلكُ المناهجَ المعاصرةَ في الصُعد العلمية والعملية كافة ؛ إذ قد يقولُ قائلٌ في مقام الإدارة: ليس من اللازمِ أن تُولَى الأولويةُ في حلِّ المشاكلِ وصولاً الى رحمةِ الإنسانِ وسعادتِه وأمنِه وسلامِه لِمَن يحتلُّ المقامَ الأولَّ في مجالٍ وآخرَ من مجالاتِ العلمِ والمعرفةِ. ولعلَّ غيرَه يقولُ: إنَّ الأنسبَ والأولى منهجياً وروحياً وفلسفيا هو المقدَّمُ والمغلَّب في ذلك كتقدم أسلوب البحث المنهجي والاستدلالي في البحوث المقارنة على أسلوب بحوث أهل الخلافِ والتعصبِ التي تدعو إلى التفرقةِ والتشتتِ. وقد يُقال أنَّ أنجعَ الحلولِ وأكثرَها مُعاصرةً في حلِّ المُشكلِ هو أن نَنتقِلَ بوضعنا في مجال المعرفةِ والعلمِ والفلسفة والثقافةِ والحضارةِ إلى مستوىً كبيرٍ لا يُضاهى في ذلك ونكونُ مركزَ الثُّقلِ والقاعدةَ العلميَّةَ والثقافيةَ بين دولِ المِنطقةِ التي تتحركُ بها مفاصلُ المُشكلِ وتنبتُ جذورُه وأنْ نكونَ قوةً حاكمةً في هذه المجالِ على سائرِ دولِ المنطقةِ وأقاليمِها ومقصداً تهوي إليه القلوبُ وتروحُ عنهُ من خلال ما تراهُ عند هذا المركز منْ ثورةٍ علميةٍ وحضاريةٍ حافلةٍ بكلِّ ما يستأصلُ شبهاتِ المشكلِ ويجذُّ جذورَه وخلافاتِه.

وقد يقالُ أنَّ الرجوعَ الى ما أرجعَنا اليه النبيُّ في آخر وصيةٍ له (صلى الله عليه وآله وسلم) في التمسُّكِ بالكتاب والعترةِ الطاهرةِ (عليهم السلام) هو الحلُّ الوحيد والفريد الذي لا تقفُ أمامَه مشكلةٌ إلى يومِ القيامةِ ؛ ولأنَّه القرارُ الصائبُ الذي فيه الوحدةُ والإتفاقُ والتآخي والاتحادُ والمحبة والرحمة وفي التخلّي عنه أو الأخذِ بغيرِه الفُرقةُ والفِتنةُ والضَّلالُ والفسادُ والعداوة والبغضاء.

إنَّ هذا ومثلَه من الحلولِ اختلفتْ فيها الأنظارُ حتى صارتْ الحلولُ والأنظارُ لكثرتها شيعاً وأحزاباً وتمزقَّتِ الأمةُ في كثرتِها وتناحرت. ولكنْ لا يعني خلوّ تلك الأجوبة من حلٍّ صحيحٍ صائبٍ وشاملٍ بينها يقي الإنسانَ كلَّ الإنسانِ من التمزّق والتناحر وهو ما ذكرناه وأشرنا اليه أولا وأفصحنا عنه آخرا.

إنّ رؤيا الواقع الخارجيّ تزيدُ الثقةَ بأنَّ الوحيَ الإلهيَ –والخطابُ المحمديُّ منه– وفلسفة منهجه الرحماني هو أنجعُ الحلول واحكمُها وأصدقُها وأخلصُها، وهو الوحيدُ الذي يحفظُ لأمةِ الإسلام عزتَها وكرامتَها وأمنَها ومستقبلَها الرغيد. فلا تذهبَنَّ المذاهبُ بعيداً عن رسالةِ نبينا محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي تملكُ الحل الناجع، وأما غيرُها فمهما ادَّعى ومهما كانت خطاباتُه ووعودُه ومساهماته فلا يملكُ الا المكرَ والكيدَ والإرهاب أو الخبط والجهل والسراب.

أيها القارئ العزيز: إنَّ التنافسَ في حملِ كرسيِّ الرحمةِ المحمديةِ أولى من اللهاث وراءَ كرسيَّ المنظماتِ التي تأسستْ في عصرنا الحاضر ممن لا يفهم الخير إلاّ من خلال أفكارِه وعقيدتِه المحرَّفة. وإنَّ من يملك منبعُ الخيرِ والعطاءِ والرحمةِ والعلمِ والمعرفةِ مِنَ العيبِ أن يستجديَ الحلولَ من غيرِه أو ينظرَ إلى غيرِه بعينِ الإنبهار والإعجابِ وينظرَ إلى نفسه وهو من أمةُ محمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) بعينِ المحتاج الذي لا يملكُ شيئاً . نعم إذا كانَ حالُنا هذا فإنَّ معنى ذلك أنَّ العدوَّ قد تمكَّنَ منّا وهو لا يُريدُ أكثرَ من ذلك. إذا كانَ حالُنا هذا وصرنا نبحث عن ذاتنا من خلال تلك المؤسسات التي تُديرها عقولٌ لا نعرف تاريخها ولا انتماءها ولا أهدافها الحقيقية فإنَّ معنى ذلك أنَّنا مكنّا غيرنا بلا بيِّنة ولا هدى ولا كتاب منير، قال تعالى:**[وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]**(٣).

إنَّ خطوةَ الحشدِ الشعبي والتأكيدَ عليها وتبنِّيها وتأييدها مثلا كانتْ حلًّا إسلاميًا صرفاً قائماً على العلم والهدى والكتاب المنير ومفاجِئاً لمشكلةٍ عدوانيةٍ كادتْ تعصِفُ بالإنسان المؤمن والبريء في العراق وتعصف بالإرادة الإسلامية الحقيقية وشخصية الشعب العراقي وإنسانيته.

إنَّ الإنفتاح على الآخر ، وتثمين الوعيَ الذي يؤمنُ بالحوار وقوةِ القرارِ لا بالمناوراتِ النفاقية وسوءِ الإختيار، والإحترام الملحوظ للقراراتِ التاريخيةَ المجيدةَ كقرارِ إخراج المحتلِّ الذي أخرجَ أمريكا وطهَّرَ العراق من رجسِها، وقرارِ حلِّ المشكلةِ السوريةِ سياسياً لا عسكرياً. وقرارِ تطهير العراقِ من داعشٍ الصنيعةِ الإسرائيليةِ الأمريكيةِ . وقرارِ هيهاتَ منا الذلةُ الذي تحملُه أفواج الجهاد الإسلامي والمقاوِمَةُ الإسلامية والوطنية وفصائل الحشد الشعبي ضدَّ الوهابيينَ القتلةِ في عراقِ الحسينِ (عليه السلام)، وضدَّ الطغاةِ الذين يُراهنونَ على ممارساتهم البربرية في إضعافِ الشعوب الحرة والحكومات الوطنية في المنطقة، وقرار القضاء على المفسدين عبر برنامج إصلاحي مدعوم شعبياً ومرجعياً وقرار اقتلاع غدة اسرائيل من الجسد الإسلامي عبر المقاومة والجهاد هي قررات تجسد روح التداعي الإيماني والسهر المخلص في طريق إنقاذ الجسد الإسلامي والوطني والمقدسات من هجمة الأعداء المتحشدين من أجل إجهاض هذا الجسد وإلحاق أكبر الضرر به. كل هذه القرارات وقرار الوقوف مع القول الإلهي الذي وصل كمشروع حضاري مخلص تحتاج إلى الجهد المستمر والتضامن الأكيد.

والبحث الذي بين يديك قارئي العزيز لا يتبنى في سطوره كحلٍّ أمثل لكل ما أشكل في ساحة الصراع على أرض الإنسان إلاّ العودة لما شرَّع للبشرية من الدين مما وصى به الله نوحا(عليه السلام) وما أوحى به عز وجل الى خاتم أنبيائه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما وصّى به إبراهيم وموسى

وعيسى (عليهم السلام) في الرحمة والتوحّد وعدم التفرقة والتباغض كمنهج في إنقاذ البشرية وقيادة سفينتهم إلى شاطئ التآخي والمحبة والأمن والسعادة والسلام، قال تعالى: **[شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ...]** (٤) وأخيرا فان البحث الذي نقدمه لهذا الغرض يقع في عدة مباحث: الأول: في معالم الحضارة الاسلامية وتأثيرها في أمن الإنسان وسعادته من خلال رؤية فلسفية، والثاني: في مُعيقات الحضارة الدينية، والثالث في أبرز المشيِّدين لصرح الحضارة الدينية وفلسفة الحق.

المبحث الأول

معالم الحضارة الإسلامية وتأثيرها في أمن الإنسان وسعادته من خلال رؤية فلسفية

في هذا المبحث نريد أن نسلط الضوء على هذه المعالم في مرونتها وقابليتها للانطباق على الحضارات الإنسانية جمعاء يوم صار آدم خليفة في الأرض إلى يومنا هذا، ولنكون في الوقت نفسه شاركنا في عرضها وعرض اصولها القابلة للهيمنة على مشاكل الإنسانية كلها بل وطريقة تجاوبها مع طاقة الإنسان وظروفه مهما كانت حرجة أو عسيرة، قال تعالى: **[وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ]**(٥). وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " بعثت بالحنيفية السمحة " (٦) ومن ثم في بيان أهميتها في تيسير الطريق لمن يريد أن يُبحر بسفينته نحو مرافئ النور والمعرفة والعلم والأخلاق، ومساهمتها في فكِّ أسْر الإنسانية اليوم من قبضةِ الحضارةِ الغربيةِ الكافرةِ المملوءة بالخلل والعلل، ومن قبضة محتواها الفاسد، والأخذ أخيراً بيد الحضارة الدينية العريقة التي من المحتوم لها سُننيا عاجلا أم آجلا أن تظهر للحياة بقوَّتها من جديد فتبني هذا العالم، وهو أمل اشارت إليه الآيات والروايات والرؤى الفلسفية السديدة بالصراحة والدلالة الواضحة، قال الله تبارك وتعالى: **[وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]** (٧) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): " لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجورا ". (٨) وأخيراً إنَّ قدرةِ الإنسانِ على التفكير من وجهة نظر فلسفية هي التي تجعله قادراً على تغيير الواقع إلى واقعٍ أفضلٍ وأكملٍ وقد خصَّ الإنسان به دون سائر الحيوانات. (٩).

الحضارة الدينية والتحديات:

في الحديث النبوي الذي تصدَّر البحث في المقدمة آنفا و في غيره من الآيات والروايات، ومقولات أصحاب النظر السليم من قبيل لا مطاعن على مدلول أو تأويل الألفاظ المعبرة عن أفكار الإنسان التي يراها حقةً ومنسجمةً مع العقل (١٠) ومقولات ما يسمى اليوم بفلسفة التاريخ من قبيل وصية الإمام علي (عليه السلام) الذهبية لابنه الحسن (عليه السلام) وهو يحثه على التفكر في أحوال الأمم الماضية قائلاً له: (أي بُني إنَّي وإنْ لم أكُنْ عمَّرتُ عُمرَ من كانَ قبلي، فقد نظرتُ في أعمالهم، وفكرتُ في أخبارهم، وسرتُ في آثارهم، حتى عدتُ كأحدِهم، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمّرتُ مع أولهم إلى آخرهم..) (١١) ومما سنذكره فيما بعد كلُّه نزعةٍ حضاريةٍ ذاتِ طابعٍ إيماني وإنساني وفلسفي واخلاقي نحو الآخرين ألاّ وهو طابع التراحم والتوادد والتعاطف والتداعي والسهر وبذل الجهد من أجلهم ومن أجل راحتهم وخلاصهم من الضرر والعناء الذي يواجهونه في الحياة، ونقلهم من حالة الضعف الى حالة القوة، بلحاظ أن السمة والروح الحضارية التي يتسم بها الحديث الشريف وما اردفناه وراءه يمثل– بلحاظ المعنى اللغوي للحضارة – حالة ضد البداوة(١٢) التي تمتاز بالبدائية في التصور والعلم أولاً، وبالخشونة والعنف في الحياة والسلوك ثانياً، وهذه الروح الحضارية التي يحتضنها الحديث في واحد من مخرجاته تمثل رسالة الدين إلى الحياة، أي رسالة ما شرع الله من الدين وما وصى به نوحاً والذي أوحاه إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما وصَّى به ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، الرسالة التي تتحرك من موقع الذات ومصلحتها الصغيرة إلى موقع الآخرين وتحقيق مصلحتهم الكبيرة، إيمانا منها أن هذه المصلحة الكبيرة لا يستطيع الفرد أن يحققها لوحده، بل لا بدَّ من تداعي كل الجهود من أجل تحقيقها، وأن هذا العمل لا يمكن أن يكون فاضلا ونبيلا إلاّ إذا تجاوز خصوصيات الفرد الذاتية وكان في سبيل الله وسبيل عباد الله.

وقد اجتبى الله تعالى لهذه الرسالة (١٢٤) ألفا من الأنبياء المصلحين كما هو المشهور (١٣) ومثلهم من الأوصياء (١٤) وأوصل أشخاصهم إلى كل أمة من أمم البشر على امتداد خطهم المكاني والزماني، قال تعالى: **[وإنْ مِنْ أمّة الاّ خَلا فيهَا نَذيرٌ]**(١٥) وهو عدد ليس بمكان من الإهمال وغض النظر عنه بما هو هو وبما له من مشروع إنساني وحضاري واحد ذي نظرية تعجز أفكار البشر – بما هم بشر– أنْ يأتوا بمثلها في ضمان وتحقيق أهدافهم العامة، تلك هي نظرية عبادة الله الواحد الأحد الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، والتحرك في سبيلها، وليس سبيلها وهو واضح إلاّ خدمة بني الإنسان والشعور بالمسؤولية الكاملة تجاههم.

أقول: أن الشرائع السماوية بما تمتلكه من هذا الكم الكبير من الأنبياء والرسل ومعتمديهم وخلفائهم ووارثيهم من الأوصياء شقَّت لبني البشر طريقا حضاريا فريدا اسمته **(سبيل الله)** وأرادت من هذا الإنسان من خلال دعوتها إليه أن لا ينكفأ سلبياً أمام بني جلدته منزوياً عنهم، بل دعته أن يتحسس آلامهم وآمالهم ويشاركهم في كل مكاره الدهر وجشوبة العيش وحل مشاكل حياتهم ومعضلاتها.

يقول أبرز المفكرين المعاصرين السيد محمد باقر الصدر(طاب ثراه): "وسبيل الله هو التعبير التجريدي عن السبيل لخدمة الإنسان، لأنَّ كل عمل من أجل الله فإنَّما هو من أجل عباد الله ؛ لأنَّ الله تعالى هو الغني عن عباده ، ولما كان الإله الحق المطلق فوق أي حد وتخصيص لا قرابة له لفئة ولا تحيّز له إلى جهة، كان سبيله دائما يعادل من الوجهة العملية سبيل الإنسانية جمعاء. فالعمل في سبيل الله ومن أجل الله هو العمل من أجل الناس ولخير الناس جميعا، وتدريب نفسي وروحي مستمر على ذلك. وكلَّما جاء سبيل الله في الشريعة أمكن أن يعني ذلك تماما سبيل الناس أجمعين "[١٦]. وإذا أردنا أنْ نلحظ الصورة المختصرة لما يسمى بحضارة الشرك والإلحاد التي احتنكت هذا السبيل ووقفت أمام هذا الجمع النبوي الغفير والاوصياء وجمع البشر كل البشر المتمثل خطابها بخطاب الشيطان الذي حكاه الله بقوله تعالى:**[لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا]** [١٧]. نجدها تتسم بالملامح الآتية من خلال مظاهرها فهي مظاهر الجاهلية والضلال المبين: يقول الشيخ جعفر السبحاني: " الصورة العامة التي يمكن رسمها عن العرب الجاهليين، إنه كان مجتمعاً غارقاً إلى آذانه في عبادة الحجارة والأوثان، والفساد الذريع في الأخلاق يظهر في شيوع القمار والزنا، ووأد البنات، وأكل الميتة، وشرب الدم، والغارات الثأرية، وغير ذلك من التقاليد والأعمال السيئة التي نقلها المؤرخون ولا حاجة للتفصيل "[١٨].

المناهج الجاهلية والمشروع الحضاري الديني:

ومن جملة التحديات التي برزت أمام المشروع الحضاري الديني – منذ عصر الرسالة المحمدية إلى يومنا هذا – الدعوة التي انطلق بها اليهود وبنو أمية وبنو العباس ودعاة القومية والمادية والمفكرون الغربيون ودعاة الإلحاد والتغريب في العنصرية والقومية والطائفية والعرقية والعصبية التي اتخذت ملاكاً لتفوق عنصر على عنصر، وقوم على قوم، وطائفة على طائفة ، وعرق على عرق من دون ملاحظة المُحِقّ من المُبطِل، واتخذت مثاراً كثيراً من مشاكل الماضي والحاضر بين المجتمعات البشرية وتأجيج الفتن بينها سلاحاً فتاكاً، سيما ما يتسلح به كثير من الحكومات الدكتاتورية في العالم.

وليس من شيئ في مشروع الإسلام ما يشير أو ما يعبِّر عن روح العصبية المقيت، كيف وخاتم الإنبياء يقول: (ليس منا من دعى إلى عصبية) (١٩) ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم) (٢٠).

فالعصبية ونظائرها من النعرات الجاهلية الشريرة والمهلكة للحرث والنسل قد تبرَّأ منها الإسلام ومن أهلها. وعليه فالذي يرى مثل هذه الرؤية ويتديَّن بمثل هذا الدين ويتعبَّد به لا يتوقع منه ولا يسوغ له إثارة الشر الكامن وأشده في الطائفية والعنصرية اللذين يستهدفان الحرث والنسل، ويبتعدان بالإنسان عن حياة الأمن والسلام.

منهج التقية وحفظ الحضارة الانسانية:

وأكثر مما تقدم في استنكار العصبية ومنهجها المقيت إذ إنَّ الإسلام نأى بمعتنقيه كل النأي عن الظلم والشر، بل راح يؤسس منهجا متكاملا في تجنيب أتباعه من الوقوع في الظلم والباطل، ويمكن اعتماده في بناء الحضارة البشرية، وحل العقد المستعصية المزمنة التي تغلب على حياة الأمم، وواحدة من بنوده إقرار التقيّة في مجالات كثيرة من مجالات الإحتكاك مع الغير. وبناءً على ذلك ليس من السائغ اتهام من يتعبَّد بهذا المنهج العام والتقية واحدة من مفرداته بأنه من دعاة الفتنة والشر وعدم الإستقرار. نعم إذا كان المجال مفتوحاً في التهمة فهو مع من لا يؤمن بهذه المفردة الأخيرة ومنهجها، ويعيب الآخرين عليها؛ وذلك بلحاظ أن من لا يؤمن بها حسب ما ورد من تقييم له في الآيات كما في قوله تعالى: **[وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّـهُ]**(٢١) وقوله تعالى: **[لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّـهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّـهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّـهِ الْمَصِيرُ]** (٢٢) وقوله تعالى: **[مَن كَفَرَ بِاللَّـهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا]**(٢٣).

وكما في الروايات الشريفة حيث جاء في تاركها أنه: (لا خير فيه) و(لا إيمان له) أو إنَّ تاركها حيث تجب(شريك) فيما يأتي به تاركها من هلاك وغير ذلك من أمور مشابهة ومن جاهليات مدلهمة. واستطرادا نقول: وصل الأمر في تقييم من لايؤمن بها إلى ما ستطلع عليه في قراءة هذه الأحاديث الواردة عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام).

قال رسول الله : (صلى الله عليه وآله) مثل مؤمن لا تقية له كمثل جسد ولا رأس له وقال (صلى الله عليه وآله): تارك التقية كتارك الصلاة. وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): التقية من أفضل أعمال

المؤمنين، يصون بها نفسه وإخوانه عن الفاجرين. وقال الحسن بن علي (عليه السلام): إن التقية يصلح الله بها أمة لصاحبها مثل ثواب أعمالهم، وتركها ربما أهلك أمة، تاركها شريك في إهلاكهم وقال الحسين بن علي (عليهما السلام): لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا، وقال علي بن الحسين (عليهما السلام): يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهر منه في الآخرة ما خلا ذنبين: ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان. وعن الباقر (عليه السلام) قال: " حلَّت التقية لِيُحقَنَ بها الدم، فإذا بلغ الدم فلا تقية، وقال أبو عبد الله (عليه السلام): لا خير فيمن لا تقية له. "وقال الرضا (عليه السلام): " لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له " "وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " التقية من دين الله، قلت: من دين الله ؟ قال: إي واللهِ من دين الله، وعن أبي جعفر (عليه السلام): " التقية في كل شيئ، وكل شيئ اضطر إليه ابن آدم فقد أحلَّه الله له. وقال الصادق (عليه السلام): التقية في كل ضرورة، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به. وعن ابن مسكان قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إني لأحسبك إذا شُتم علي (عليه السلام) بين يديك إن تستطيع أن تأكل أنف شاتمه لفعلت ؟ فقلت: أي والله جعلت فداك إني لهكذا وأهل بيتي. قال: فلا تفعل، فوالله لربما سمعت من شتم عليا وما بيني وبينه إلا أسطوانة فاستتر بها، فإذا فرغت من صلاتي أمُرُّ به فأسلِّم عليه وأصافحه، وقد جاء في الروايات ما يدل على ذلك أيضا: (التقية ديني ودين آبائي) و(من لا تقية له لا دين له) إذ أن دين الله يمشي على سنة التقية لمسلوبي الحرية، والتقية تِرس الله في الأرض؛ لأن مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل) (٢٤).

والإنصاف إن من يطالع على الأقل تلكم البيانات الشريفة يجد كم هو حظ مفردة من مفردات هذا المنهج الحضاري الإستراتيجي في تحاشي البؤر المتشنجة وكم هو مشاركتها في اطفاء نائرتها، وكم هو تأثيرها الحضاري في حقن الدماء وفي إرساء قواعد السلام والاستقرار. وليست فلسفة التقية أخيرا هو اخفاء الحق في موارد تهدده بالخطر والحفاظ عليه فحسب، بل في إتباع الآلية المرنة في الوصول إليه منها، وعدم اتباع فلسفة التشاؤم في التعبير عن هذه الحياة في ظلها.

إن عدم إدراك هذين الفنين الأخيرين أوقع الكثير بمخالفة المنهج الحق في التقية والإبتعاد عن خيره ونصره في الحياة.

أصول الحضارة الاسلامية والمعالجات:

جاء الرسول الأعظم بمفاهيم راقية في شؤون الحياة البشرية جمعاء ، ففي مجال المبدأ والمعاد مثلا دعا إلى التوحيد، ونبذ الوثنية وتنزيههُ سبحانهُ عن كل نقصٍ وعيبٍ، وقرر أنَّ الموت ليس بمعنى ختم

الحياة، وإنما هو نافذة للحياة الأبدية، وأين هذا من مفاهيم الشرك والوثنية التي كانت سائدة في ذلك الزمن، وقولهم كما حكاه الله تعالى: **[وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ]** (٢٥) وأرسى أركان الإحسان والعدالة الاجتماعية، وحذر عن الفواحش والبغي والعدوان، وأين هذا من الممارسات الأخلاقية القبيحة الرائجة بين العرب في تلك الظروف ؟ وفي حقل الأخلاق والتعاون والتآلف الاجتماعي زرع في محيط البغضاء والحقد بذور المحبة والمؤاساة، وجعل أبناء المجتمع الواحد إخوة في الدين، قال تعالى: **[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ]** (٢٦)وفي الحقل الاقتصادي، جاء بأصول ومفاهيم بنى عليها بنيانا محكما من التشريعات الاقتصادية في مختلف أبواب المعاملات، فمن ذلك أنه نادى بحرمة الربا الذي كان الشغل الشاغل في الجزيرة العربية. وإلى هذا أشار جعفر بن أبي طالب في مقالة ألقاها إلى ملك الحبشة فقال: " " نعم أيها الملك خالفناهم، بعث الله فينا نبيا أمرنا بخلع الأنداد وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرَّم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حقِّها، والزنا والربا والميتة والدم ولحم الخنزير، وأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي ". فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى ". (٢٧)

ومما يشير إلى وحدة الوحي في أصوله عند كل الأنبياء والرسل ما ورد عن ابن عباس أيضاً في تفسير قوله تعالى من سورة الشورى: **[كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ]** قال:" وما من نبي أنزل الله عليه الكتاب، إلا أنزل عليه معاني هذه السورة بلغاتهم"(٢٨).

فإذا ذهبنا مع هذا الفهم في وحدة الوحي ولو بالجملة دون التفصيل على الانبياء(عليهم السلام) جميعاً ؛لاقتربنا إلى ما ينظِّر إليه الشيخ محمد عبدة في رسالة التوحيد في مسألة التدرّج في رسالة الدين حيث ذكر هناك: " أنَّ الأديان الأولى خاطبت الحسّ يوم كانت الإنسانية في طور الطفولة، لا يعرف الإنسان فيها إلا ما يقع تحت حسه، ولا يتناول بذهنه من المعاني ما لا يقرب من لمسه، فلما سار ركب الإنسانية، وجرَّبت وكسبت، وتخالفت واتفقت، وتقلبت في السعادة والشقاء أياما وأياما، ونما بها الوجدان، وبدت العواطف، جاء دين يتحدث عن الزهادة وعن الصفاء وملكوت الله، ولكن الإنسانية في صراعها لم تستطع أن تعيش على الايثار، ولم يطل مقامها في الصفاء، فراحت تتعارك وحلَّت القطيعة محل التراحم، والتخاصم مكان المسالمة، فجاء دين ينظم الشؤون كلها، ويرعى الحس والعاطفة، ويدرس العقل والقلب، وينظم للناس شؤون دنياهم وآخرتهم. ويقول بعض الباحثين في تفسير قوله تعالى: **[مصدِّقا لما بين يديه]**(٢٩): هذا الكتاب الذي نزل بالحق يصدِّق ما بين يديه من الديانات التي سبقته وامتدت إلى زمانه، يصدقها في أصولها، فهي صورة من صور الحق التي جاء بها الرسل

مناسبة لزمانهم، محققة لأغراضها في ذلك الزمان وكلما تغيرت الحاجة جاء طور من الديانة، جديد، يتفق في أصله ويختلف في فروعه تدرجا مع الحاجات. مع تصديق اللاحق للسابق في أصل الوحدانية الكبير[٣٠] غير أنَّهُ استنتاج ناتج من تقييد المطلق الوارد في الآية الآنفة قبل قليل بلا وجود قيد، فالرسالة التي بين أيدينا اليوم مصدِّقة لجميع ما تقدَّمها أصولاً وفروعاً؛ لأنه إذا صدقتْها في الأصول فالفروع تابعة للأصول. ومراجعة قول النجاشي لجعفر بن أبي طالب يصدق ذلك أيضا، ولكن الذي يقرِّب المسافة بيننا وبين الشيخ محمد عبدة أن الفروع التي غطَّتها الشريعة الإسلامية خاتمة الرسالات أكثر من فروع الرسالات التي سبقتها بلحاظ أن الإنسان يستنتج من تلك الأصول الجديد الذي لم تكن الحاجة قد سنحت لمعالجته أيام تلك الرسالات لعدم الابتلاء به، وباعتبار وقوف صاحب الرسالة على كل أصولها وفروعها وتعليمه وصيَّه علياً(عليه السلام) طريقة التعامل مع هذه الاصول – لإستخراج جواب كل فرع يستجد فيها إلى يوم القيامة بدرجة اصبحت الأصول مرجعا لمعالجة كل جديد يستجد، وكل غامض لا تناله الأفهام سوى من خصَّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتعليم. ويدل على هذه السعة الدلالية وشمولية النص شخصيا ومكانيا وزمانيا وموضوعيا لهما ما رواه المعلى بن خنيس، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: " ما مِن أمرٍ يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل، ولكن لا تبلغه عقول الرجال "[٣١].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: " ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه أن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلَّمتكم " [٣٢]. وقال الصادق عليه السلام: " كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه "[٣٣].

ومن هنا نستطيع القول إنَّ الحضارة الإسلامية تمشي إلى الأمام ما مشى هذا الإنسان إلى الأمام مع هذه الاصول وفروعها التي لا يدركها إلا أهلها، ولا ولن تتوقف مادامت وضعت سرَّ تقدمها الكدح هي وإنسانها إلى الله الواحد الأحد كدحا حتى تلاقيه. وما دامت وضعت سر جهادها ضد فريقي الضلال والكفر عبر هذه السنن الإلهية الثابتة والاصول المستمرة. فريق الكفر الذي يختطف الإنسان الى الإلحاد حيث يكون الإنسان فيه ريشة في مهب الريح لا تملك لها إرادة تستقر فيها أو تنظِّم سيرها، وفريق الشرك الذي يحمِّل الإنسان عبأ الإبتعاد عن الحقيقة إلى درجة الضلال الذي لا يرى الإنسان فيه دربه في الحياة. وما دامت ترى كل وحي الرسالات التي سبقتها وتزيد عليها في أنها وضعتْ علاجاتِها بيد سيد النبيين وخاتمهم (ص). الأمر الذي جعلها تنجح نجاحا باهراً في خلق أمَّة

لها حضارة توحيدية فريدة مُستلهَمة من الوحي الذي حباه الله به ومن سيرته ورؤيته للحياة وتقريره صلى الله عليه وآله وسلم لما تعارف عليه عقلاء البشر من الاعتماد على القراءة والتدوين والكتابة وطلب العلم، كأمر حضاري مهم. أضف إلى ذلك إنَّ العترة الأطهار – الذين جعلهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نجوما لأمته، بأنوارهم يهتدون، وأمر بالتمسك بحبلهم، والاقتداء بهم – قد أجمعوا على أن الكتابة أمر ضروري، ورغبوا فيها، وحثوا الأمة مزاولتها"[٣٤] كل ذلك لاجل أن تكتب وتُشادُ حضارةٌ مخلِّصَةٌ من الهلاك " **كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** "[٣٥]، فالحضارة الإسلامية– بناء على ما تقدم– حضارة اعتمدت في حركتها دون سواها على الإعتقاد بالاسلام وعلى القلم والخُلُق وما وراءهما من ذات انسانية او فطرة تعيش واحدة وتتعايش في كل زمان ومكان فجُمِعتْ بها كلُّ أبعاد حضارة الخير والسلام للإنسان كل الإنسان وقلع كل جذور ما يسمى بحضارة الشرك والكفر والتفرقة المتجسدة بتبنّي العصبية والعنصرية والعرقية المقيتة أو تبني البدائل الاستشراقية والاستعمارية لها من قبيل "إحلال مفاهيم تحل الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة محلها، تحت اسم: الحضارة، أو العالمية، أو وحدة الثقافة والفكر البشري "[٣٦].أو من قبيل اعتماد فلسفة جعل الدين كتلة جامدة لا تتفاعل وواقع الحياة كما عليه الوهابية اليوم.

الاخلاق الاسلامية والحضارة:

ففي أهمية الركيزة الأخلاقية التي تعتمد عليها الحضارة الإسلامية من دون غيرها يقول طاهر الصوري: " لم يكن التراث الأخلاقي الضخم الذي تزخر به خزائن الحضارة الاسلامية حالة غير طبيعية تنفصل عما أرساه دين الله الحنيف من تعاليم ربانية، تنظم مسيرة المجتمع البشري لما فيه خيره وصلاحه، بل يمكن القول: إنَّ الجانب الأخلاقي يعتبر بمثابة العلامة الفارقة التي تميزت بها الحضارة الإسلامية عن بقية حضارات الأمم والشعوب منذ بدء الخليقة وإلى يومنا هذا "[٣٧]وإلى هذه الركيزة الحضارية أشار " ويل دورانت " في كتابه الشهير " قصة الحضارة " في أن الحضارة عموما تتألف من عناصر أربعة وجعل التقاليد الخُلُقيَّة بينها[٣٨]، واما السبحاني فيرى أن الأساس في كل ما يذكر للحضارة الإسلامية من قوانين وسنن تدفع إلى مكارم الأخلاق وتكوين مجتمع صالح في صعد الحياة أجمع ، ويكون التاريخ شاهداً عليه وهو ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصار بعد ذلك مثالا للمسلمين في بناء أعظم حضارة إسلامية." [٣٩]، ومن كان هذا قَدَره لا يلتقي البتة إلا بوسائل الأمن والسعادة للإنسانية. بل وقادر على أن يكون هو البديل الوحيد عن كل الأطروحات

الفاسدة التي استطاعت أن تجد لها موطأ قدم بعد التغييب القسري للفكر الإسلامي عن أرض الواقع ولسنين طوال مرة أو عن طريق التسلل من خلال الخلل التي أوجدتها حالة التعصب المقيت والطائفية المثارة من قبل المتسربلين بجلباب الإسلام ورداءه الفضفاض، ليطعن الدين بمُدى أهله، ويقف أعداؤهم موقف المتفرجين لا يخفون شماتة ولا يكتمون سرورا، وتلك هي والله أمُّ الفواقر. بلى، فمن هذا التشخيص الدقيق الذي يدركه العقلاء المنبعث عن رؤية صادقة ومستجلية للغرض السيئ الذي يراد العزف على أوتاره من خلال بعثرة الصف الإسلامي الواحد لسنوات بعد لا يعلمها الاّ الله، ترانا نستثير اليوم بالمسلم ضرورة العودة إلى الإسلام وحضارته ورقيه وضرورة عدم اعطاء المجال لاعداء الإسلام في كل الأصعدة عرباً أو غربيين؛لأنَّ باعطائهم الفرصة في التدخل إنَّما هو اعطاؤهم الفرصة لزيادة التناحر والتمزق بين أفراد الصف الاسلامي الواحد إما بواسطتهم مباشرة أو بواسطة المتسربلين بلباس الإسلام من عملائهم.

المبحث الثاني

معيقات الحضارة الدينية

وفي هذا المبحث سنتناول أبرز وأخطر المعيقات التي وقفت حجر عثرة أمام حضارة بني البشر وهي كالآتي:

المطلب الأول : الكفر والشرك والنفاق:

لقد مرَّ الحديث عن هذا الأمر في المبحث الأول وعليه فلن نشمله هنا بالذكر الاّ بمقدار موجز حفظا على موقعه على رأس العناوين المطروحة للبحث في هذا المبحث.

وبما أن الكلام يقع في معيقات الحضارة الدينية للإنسان فليس من معيق أول أمام هذه الحضارة الدينية التي يريدها الله تعالى لهذا الإنسان إلا ابليس رمز الشر والكفر والعدوان والفتنة[٤٠] والعداوة والبغضاء حيث أنبأنا القرآن عن رسالته في هذا الطريق قائلا: **[لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ]** الاعراف / ١٦ ، وذكر في آية أخرى عن رسالته في هذا المجال وليس له مجال غيره **[قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ]**[٤١] وفي آية أخرى **[وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ]**[٤٢] وله خطابات وإرادات عدة من أجل تجسيد هذه الإعاقة أيضا كقوله الذي يحكيه القرآن: **[كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ]**[٤٣] ليمنعه من البقاء على الإيمان بالله.

وقال تعالى في إعطاء صورة أخرى لرسالة الشيطان المعيقة للإنسان من السير في طريق حضارة

الهدى:**[وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا]** (٤٤)، وقال: **[إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ]** (٤٥).

وقد نبهت الحضارة الدينية وخاتمتها الإسلام من هذه المعيقات والأخطار، ولا أظن الأمر في عداوة الشيطان للإنسان يحتاج إلى ذكر شواهد عليه. ولا ممن ينتهجون نهجه من طواغيت الأرض وحكام الاستبداد ومشركين، فقد نبه الإسلام على المنهج الذي يحفظ للإنسان حياته وحضارته البعيدة عن هذه الأخطار المهلكة، فجعل القتال إحياء لها، ونبه إلى الفطرة القاضية به في الدفاع عن حقها.

يقول علي محمد فتح الدين الحنفي:" لا شبهة في أن فطرة الإنسان تقضى قطعيا بأنه لابدَّ وأنْ يكون للإسلام حكم دفاعي في تطهير الأرض من لوث الشرك بالله الذي فيه هلاك الإنسانية وموت الفطرة، وفي القتال دفاع عن حقها فالقتال مع المشركين إنما تكون لإماتة الشرك وإحياء دين التوحيد، ونبه إلى استقلال العقل بوجوبه؛ لإن دين التوحيد دين الفطرة **[فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّـهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ]**، والتحفظ عليه من أوضح حقوق الانسانية، والجهاد الذي يحفظ به ذلك يكون واجبا بحكم العقل." (٤٦)

المطلب الثاني : الأُميّة

إنَّ خطر الأمية على المجتمعات البشرية من أشد الأخطار التي تأخذ بأيديها إلى الهلاك والهاوية، ومن هذا المبنى في تشخيص الخطر وسببه انطلقت الحضارة الدينية – من أول يوم رؤي للإنسان فيه وجود – تُعلِّم الإنسان كل شيء، قال تعالى: **[وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا]**(٤٧)، الى آخر يوم بُعِثَ فيه بعثها الخاتم محمد (ص) حيث قوله تعالى: **[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ]**(٤٨).

يقول السيد محمد رضا الجلالي:" ومن هذا المبنى قام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى كل ما يرفع من قيمة الإنسان، ويسمو به إلى المكارم، ويزيده مدنية، وكمالا، وحضارة.

ومن أهم وسائل التمدن والكمال والتحضر، هي (الكتابة) ومحو الأمية، بلا ريب. وقد اهتم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الأمر اهتماما بليغا حتى أنه أدخل ذلك في قضية سياسية عسكرية، وهي فداء أسرى بدر من المشركين في مقابل تعليم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة والقراءة، وأمر بعض الصحابة بتعليم الصبيان في المدينة. وقد تظافرت الأحاديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم في ما يتعلق بشؤون الكتابة، فأملى على كتابه، وقرر كتابتهم، وأمرهم بالكتابة. فتحققت السُنة، بأنواعها

كلها: الفعلية، والتقريرية، والقولية، في الحث على الكتابة بعامة، وكتابة الحديث بخاصة. والسنة القولية، وردت بألفاظ مختلفة، ومنها: ما ورد فيه أسماء أدوات الكتابة، من: كتاب، وورق، ومداد، وحبر، وقلم، وقرطاس." (٤٩)

وفي مورد آخر جاء في تدوين السنة الشريفة:_" ومن القواعد المعلومة – كما يقول الشيخ الشهيد الثاني: أن فرض الكفاية إذا لم يقم به من فيه كفاية، يخاطب به كل مكلف، ويأثم بالتقصير فيه كل مكلف به، فيكون في ذلك كالواجب العيني، إلى أن يوجد من فيه كفاية. أليس في الالتزام بالمنع من تدوين الحديث مخالفة بينة لعرف العقلاء الذي أقره الإسلام في قرآنه، وحديث رسوله، وكلام أئمته، وسيرة أصحابه ؟ أليس في الامتناع عن كتابة السنة طوال قرن واحد، إخلال بواجب المحافظة عليها ؟ أما نحن، فلا نتصور أن الإسلام العظيم، دين المدنية، يهمل الكتابة، وهي من أهم أسس الحضارة البشرية. وكذلك لا نتهم أحدا من الصحابة الكرام بالتقصير في أداء هذا الواجب الديني المقدس. بل، نعتقد بأن الإسلام وقوانينه الرصينة أجل من أن يمنع مثل هذا الأمر الدال على الكمال والرقي، فكيف يمنع كتابة الحديث الشريف، الذي هو ثاني مصادر هذا الدين، باتفاق المسلمين، على اختلاف الفرق والمذاهب ؟ ! كما نعتقد أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المخلصين لهذا الدين، والمدافعين عن شريعة سيد المرسلين، قد بذلوا جهدا واسعا مشكورا من أجل صيانة الحديث الشريف، وضبطه وحفظه في الكتب المدونة. ولقد قاوموا عملية المنع، وتهديدات المانعين، فتحملوا المشاق من أجل ذلك، فلم ينقطعوا عن أداء هذا الواجب المقدس، طرفة عين، وسنأتي على ذكر طرف من أحاديثهم، وما بلوا به في هذا المجال. كما أن المانعين من تدوين الحديث، ومن التزم برأيهم، واتبع آثارهم قد رجعوا إلى الحق، فعادوا إلى الرشد، ولحقوا بسائر المسلمين، وتبعوهم في كتابة الحديث الشريف، كتابة عامة، ولو بعد قرن من الزمان، دون تحرج أو منع أو تحريم (٥٠)

ثم يقول: " أضف إلى ذلك أن أئمة أهل البيت الأطهار – الذين جعلهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نجوما لأمته، بأنوارهم يهتدون، وأمر بالتمسك بحبلهم، والاقتداء بهم – قد أجمعوا على أن الكتابة أمر ضروري، ورغبوا فيها، وحثوا الأمة مزاولتها. وأقوال الصحابة الأبرار – الذين اتبعوا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أفعاله وأقواله... وقد استخدم المسلمون الكتابة في تدون أقدس ما لديهم من نص وهو القرآن الكريم رغم ما ورد فيه من قوله تعالى: **[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]**"(٥١).

وأما الحكام الجهلة والمتخلفون فعلى طول التاريخ كانوا يتبنون الممارسات كلها التي تقود البلاد والعباد إلى تدمير حضارة الإنسان ورقيه وما يوم داعش ويوم التتر والمغول ببعيد عن هذه الحقيقة. وما يوم منع كتابة الحديث وتدوينه طوال قرن واحد بعد رحيل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى ببعيد عن هذا المنهج الجاهلي أيضا وعمن يقرأ الماضي ويفهم الحاضر والمستقبل من خلاله. وإذا كان الجهل والأمية يدفعان الأمم كما هو شأن التفرقة وعدم الاتحاد نحو السقوط والهاوية هو تعبير القرآن عن حالة من هذا القبيل **[وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا]**(٥٢)، إلا أن الإعتصام بحبل الله وعدم التفرق والتآزر في مهمة الانقاذ والتي كان محو الأمية أحد مفرداتها كانت من معالم الحضارة الدينية التي أوحت بها السماء إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وما سرقة الطاقات العلمية من بلاد المسلمين اليوم عن طريق فتح باب الهجرة اليها أو منحها بعض المرغبات في بلدان الغرب الكافر أو خلق ظروف قسرية تضطرهم إلى ذلك إلا واحدة من الممارسات العدائية التي تستهدف الحضارة الإسلامية وإفراغ بلدانها من أبنائها من أصحاب الكفاءات ووضع العوائق أمام تطورها وتقدمها ولتبقى الأمية وشبحها المخيف هي الحالة التي تنوء بها تلك البلدان الإسلامية. وعليه فليس أمام المسلمين اليوم إلاّ أن يقاوموا هذه الممارسات، ويتحملوا المشاق من أجل ذلك، ويدركوا أنَّ الصبر أمام هكذا استهدافات واجب مقدس والبلاء فيه لا يقل عن بلاء الجهاد في جبهات القتال في سبيل الله ، ويتذكروا أن الذين سرقوا في الماضي لم يسلموا على شيء من عيالاتهم ولا على دينهم ولا على دنياهم إلا الفتات منها، ويتذكروا أن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي هاجر من قبل قد قام بأداء المهمة الرسالية التي بعث بها خير قيام إلى كل ما يرفع من قيمة الإنسان، ويسمو به إلى المكارم، وأن يعلموا أن ليس هذا السير كذاك السير، وإلا لو كان على نهجه وهداه فما أصوبه وأحجاه.

إنَّ عملية التجهيل والتعتيم والإيهام التي تكتنف سرقة الطاقات وعملية سرقتها من خلال التصرف الماكر بوقت نموها وسيرها الطبيعي من خلال الوسائل الإعلامية المعاصرة يجب أن تثار من خلال جهد إعلامي ومؤسساتي واستراتيجي مخلص وفي الأصعدة كلها الاجتماعية والنفسية والتكنولوجية والاخلاقية والدينية للمسك بيد اللعبة الخبيثة التي تستهدف طاقاتنا ولويها. ومن غير اللائق أن يعالج هذا الأمر الخطير بجهد لا يتناسب نوعا وكمّاً مع خطره وفداحة تداعياته.

المطلب الثالث : الإرهاب والطائفية والتعصب

قال تعالى: **[وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّـهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّـهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ]** الأنفال / ٦٠.

يقول الرازي في تفسيره: "اعلم أنه تعالى لما أوجب على رسوله أن يشرد من صدر منه نقض العهد، وأن ينبذ العهد إلى من خاف منه النقض، أمره في هذه الآية بالإعداد لهؤلاء الكفار. قيل: إنه لما اتفق أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قصة بدر أن يقصدوا الكفار بلا آلة ولا عدة أمرهم الله تعالى أن لا يعودوا لمثله وأن يعدّوا للكفار ما يمكنهم من آلة وعدة وقوة، والمراد بالقوة ههنا: ما يكون سببا لحصول القوة وذكروا فيه وجوها: الأول: المراد من القوة أنواع الأسلحة. الثاني: روي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قرأ هذه الآية على المنبر وقال: " ألا إن القوة الرمي " قالها ثلاثا. الثالث: قال بعضهم: القوة هي الحصون. الرابع: قال أصحاب المعاني الأولى أن يقال: هذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو، وكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو من جملة القوة. وقوله عليه الصلاة والسلام: " القوة هي الرمي " لا ينفي كون غير الرمي معتبرا، وأن قوله عليه الصلاة والسلام: " الحج عرفة " و " الندم توبة " لا ينفي اعتبار غيره، بل يدل على أن هذا المذكور جزء شريف من المقصود فكذا ههنا، وهذه الآية تدل على أن الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة، إلا أنه من فروض الكفايات. وقوله: (ومن رباط الخيل) الرباط المرابطة أو جمع ربيط، كفصال وفصيل، ولا شك أن ربط الخيل من أقوى آلات الجهاد. روي أنَّ رجلا قال لابن سيرين: إن فلانا أوصى بثلث ماله للحصون. فقال ابن سيرين: يشتري به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها، فقال الرجل إنما أوصى للحصون، فقال هي الخيل ألم تسمع قول الشاعر:

ولقد علمت على تجنبي الردى ****إن الحصون الخيل لا مدر القرى

قال عكرمة: ومن رباط الخيل الإناث وهو قول الفراء، ووجه هذا القول أنَّ العرب تسمي الخيل إذا ربطت في الأفنية وعلفت ربطا واحدها ربيط، ويجمع ربط على رباط وهو جمع الجمع، فمعنى الرباط ههنا، الخيل المربوط في سبيل الله، وفسر بالإناث لأنها أولى ما يربط لتناسلها ونمائها بأولادها، فارتباطها أولى من ارتباط الفحول، هذا ما ذكره الواحدي. ولقائل أن يقول: بل حمل هذا اللفظ على الفحول أولى، لأن المقصود من رباط الخيل المحاربة عليها، ولا شك أن الفحول أقوى على الكر والفر والعدو، فكانت المحاربة عليها أسهل، فوجب تخصيص هذا اللفظ بها، ولما وقع التعارض بين هذين

الوجهين وجب حمل اللفظ على مفهومه الأصلي، وهو كونه خيلا مربوطا، سواء كان من الفحول أو من الإناث، ثم إنه تعالى ذكر ما لأجله أمر بإعداد هذه الأشياء. فقالتعالى : **[تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّـهِ وَعَدُوَّكُمْ]** وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم، وذلك الخوف يفيد أمورا كثيرة: أولها: أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام. وثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية. وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعيا لهم إلى الإيمان. ورابعها: أنهم لا يعينون سائر الكفار. وخامسها: أن يصير ذلك سببا لمزيد الزينة في دار الإسلام. ثم قال تعالى: **[وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّـهُ يَعْلَمُهُمْ]** والمراد أن تكثير آلات الجهاد وأدواتها ويرهب الأعداء الذين نعلم كونهم أعداء، ويرهب الأعداء الذين لا نعلم أنهم أعداء، ثم فيه وجوه: الأول: وهو الأصح أنهم هم المنافقون، والمعنى: أن تكثير أسباب الغزو يوجب رهبة الكفار ويوجب رهبة المنافقين. فإن قيل: المنافقون لا يخافون القتال فكيف يوجب ما ذكرتموه الإرهاب ؟ قلنا: هذا الإرهاب من وجهين: الأول: أنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأدواتهم انقطع عنهم طمعهم من أن يصيروا مغلوبين، وذلك يحملهم على أن يتركوا الكفر في قلوبهم وبواطنهم ويصيروا مخلصين في الإيمان، والثاني: أن المنافق من عادته أن يتربص ظهور الآفات ويحتال في إلقاء الإفساد والتفريق فيما بين المسلمين، فإذا شاهد كون المسلمين في غاية القوة خافهم وترك هذه الأفعال المذمومة. والقول الثاني: في هذا الباب ما رواه ابن جريج عن سليمان بن موسى قال: المراد كفار الجن. روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ: **[وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّـهُ يَعْلَمُهُمْ]** فقال إنهم الجن. ثم قال: " إن الشيطان لا يخبل أحدا في دار فيها فرس عتيق " وقال الحسن: صهيل الفرس يرهب الجن، وهذا القول مشكل، لأن تكثير آلات الجهاد لا يعقل تأثيره في إرهاب الجن. والقول الثالث: أن المسلم كما يعاديه الكافر، فكذلك قد يعاديه المسلم أيضا، فإذا كان قوي الحال كثير السلاح، ويخافه أعداؤه من الكفار، ويخافه كل من يعاديه مسلما كان أو كافرا "[٥٣].

هذا هو الاسلوب الشرعي الذي يستهدف إخافة أعداء الله تعالى، ويدخل فيه اعداد كل عناصر القوة التي تجعل أعداء الله تعالى آيسين من الطمع بأولياء الله وثرواتهم وبلدانهم ومصادر قوتهم، وهو نسبي فهو تخويف في أدنى درجاته، وقتال الأعداء وانزال العقوبات بهم والنكال المناسب لفعالهم في أقصى درجاته، وقد عمدت الشريعة الإسلامية لتخويف أعداء الله تعالى استعمال الخطاب الإعلامي المناسب لخدمة الغرض وتحقيقه:

يقول الطوسي: " والنكال الإرهاب للغير واصله المنع، لأنه مأخوذ من النكل وهو القيد، وهو أيضا

اللجام وكلاهما مانع. وقوله: **[لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا]**البقرة / ٦٦ . روي عن عكرمة عن ابن عباس: انه أراد ما بين يديها وما خلفها من القرى. وروي عن الضحاك عن ابن عباس انه: أراد ما بين يديها يعني: من بعدهم من الأمم. وما خلفها الذين كانوا معهم باقين"(٥٤).

ويقول الطبرسي في تفسيره قوله تعالى: **[فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ]**البقرة / ٦٦ : "اللغة: النكال: الإرهاب للغير، وأصله المنع"(٥٥).

واعلم أن الشريعة الإسلامية لا تقتصر على تبني تلك الاساليب بل راحت تشجع المجاهدين والمرابطين على ذلك فراحت تسهم للدارع منهم بدرعين في القتال بسهمين والمرابط بفرسين احداهما للقتال والأخرى جنيبة بسهمين أيضا بل راحت تسهم لمن يرابط بالخيل دون المرابط بالابل لأن الخيل أكثر ارعابا للعدو من الجمال وذلك لأمكانية الكر والفر بالخيل أكثر وافضل من الجمال فضلا عن الحمير والبغال.

يقول ابن عابدين في حاشية رد المحتار: (لا يسهم للراحلة) هي المركوب من الإبل ذكرا كان أو أنثى، والتاء فيها للوحدة أو للنقل من الوصفية إلى الاسمية، والجمل يختص بالذكر. قوله: (لعدم الإرهاب) أي تخويف العدو إذ لا تصلح للكر والفر(٥٦).

ويقول النووي: (فصل) فإن غصب فرسا حضر به الحرب استحق للفرس سهمين لأنه حصل به الارهاب(٥٧)

ويقول السرخسي: " أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الفارس سهمين والراجل سهما يوم بدر وإنما كان يوم بدر مع المسلمين فرسان وسبعون بعيرا ففي هذا دليل أنه يسهم للفرس دون غيره من البهائم وهذا لان الارهاب الذي يحصل بالخيل لا يحصل بغيره قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وفيه دليل أنه يسهم للفرس سهم واحد" (٥٨)

ويقول ابن نجيم المصري في البحر الرائق: " قوله: (والبراذين كالعتاق) لأن الارهاب مضاف إلى جنس الخيل في الكتاب قال الله تعالى **[وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّـهِ وَعَدُوَّكُمْ]**(٥٩)، واسم الخيل يطلق على البراذين والعراب والهجين والمقرف اطلاقا واحدا، ولان العربي إن كان في الطلب والهرب أقوى فالبرذون أصبر وألين عطفا ففي كل منهما منفعة معتبرة فاستويا. والبرذون التركي من الخيل والجمع البراذين وخلافها العراب والأنثى برذونة، وعتاق الخيل والطير كرائمها، كذا في المغرب. وفي شرح النقاية: العتاق – بكسر العين – كرام الخيل العربية، والبراذين خيل العجم والهجين الذي أبوه عربي وأمه عجمية والمقرف عكسه قوله: (لا الراحلة والبغل) أي لا يكونان كالعتاق فلا يسهم

لهما لأن الارهاب لا يقع بهما إذ لا يقاتل عليهما قوله: (والعبرة للفارس والراجل عند المجاوزة) لأن المجاوزة نفسها قتال لأنهم يلحقون الخوف بها والحالة بعدها حالة الدوام ولا معتبر بها، ولان الوقوف على حقيقة القتال متعسر "(٦٠).

ويقول الشيخ الطوسي في المقام: "وتقسم الغنيمة بين المقاتلة بالسوية لا يفضل بعضهم على بعض للشرف أو العلم أو الزهد إلا الفارس على الراجل، فإن للفارس سهمين وللراجل سهما، فإن كان معه أفراس جماعة فلم يسهم إلا لفرسين فقط. وما يغنم منهم في المراكب قسم أيضا مثل ذلك للفارس سهمان وللراجل سهم." (٦١)

وفي مقام استعمال الخطاب الاعلامي المناسب لبث الخوف والرهبة في نفوس اعداء الله تعالى أو لغرض تحصيل العبرة والموعظة التي تمنع من ارتكاب المعاصي والذنوب يقول الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى: **[سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ]**الحاقة / ٧ ، اخبار منه تعالى إنّهُ أهلكهم بهذه الريح في مدة سبع ليال، وثمانية أيام، لما في ذلك من الارهاب والتخويف، وما يتعلق به من المصلحة لغيرهم في التكليف. (٦٢)

ويقول المحقق الحلي: "ثم يعطي الراجل سهما، والفارس سهمين، وقيل: ثلاثة، والأول أظهر. ومن كان له فرسان فصاعدا، أسهم لفرسين دون ما زاد. وكذا الحكم لو قاتلوا في السفن وإن استغنوا عن الخيل. ولا يسهم: للإبل والبغال والحمير، وإنما يسهم للخيل وإن لم تكن عرابا. ولا يسهم من الخيل: للقحم والرازح والضرع لعدم الانتفاع بها في الحرب، وقيل: يسهم مراعاة للاسم، وهو حسن. ولا يسهم: للمغصوب إذا كان صاحبه غائبا، ولو كان صاحبه حاضرا، كان لصاحبه سهمه. ويسهم للمستأجر والمستعار." (٦٣) وقد شرعت الشريعة القوانين والأحكام لاجل تحقيق حالة الخوف من ارتكاب الجرائم والمعاصي أو لاجل تحصيل الحماس الذي يخيف الاعداء ومثال الأول كثير وفي حالات تشريع إقامة الحدود على المفسدين وقطاع الطرق والمنتهكين لأعراض الناس بالزنا ونحو ذلك.

يقول سيد سابق في فقه السنة: ولو فرض أن ثلاثة منهم شهدوا بهذه الشهادة وشهد الرابع بخلاف شهادتهم، أو رجع أحدهم عن شهادته أقيم عليهم حد القذف. فهذا الاحتياط الذي وضعه الإسلام في إثبات هذه الجريمة، مما يدفع ثبوتها قطعا. فهذه العقوبة هي إلى الإرهاب والتخويف أقرب منها إلى التحقيق والتنفيذ. وقد يقول قائل: إذا كان الحد مما يندر إقامته، لتعذر ثبوت الأدلة، فلماذا إذن شرعه الإسلام ؟ والجواب كما قلنا: إنَّ الإسلام إذا لاحظ قسوة الجريمة وضراوتها فإنه يعمل لها ألف حساب وحساب قبل أن تقترف. فهذا نوع من الزجر بالنسبة لهذه الجريمة التي تجد من الحوافز والبواعث ما

يدفع إليها، ولا سيما وأن الغريزة الجنسية من أعنف الغرائز، إن لم تكن أعنفها على الاطلاق، ومن المناسب أن يواجه عنف الغريزة عنف العقوبة، فإن ذلك من عوامل الحد من ثورتها(٦٤).

وأما مثال الثاني فتجويز الشريعة دق الطبول التي تهيج الحالة الحماسية للجهاد في سبيل الله (٦٥) والمارشات العسكرية المعاصرة.

وأما ممارسة الإرهاب من قبل أعداء الله فلا تتعدى ممارسات الجريمة والتفنن في اظهارها وأدائها وهي ممارسات لم تغب عن ساحة بني البشر منذ يوم عاش على الأرض، وهذا هو القرآن الكريم يذكر لنا في سورة المائدة ألوانا منها كالقتل وقطع السبيل والسرقة والسلب والإفساد في الارض مع ذكر علاجاتها، قال تعالى: **[وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّـهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّـهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّـهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ * إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّـهِ وَاللَّـهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّـهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّـهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]**(٦٦).

وقد استعرض القرآن الكريم اشكال الارهاب الإجرامي كله وخطورة ممارسته على البشرية وخطورة ممارسته على رسالات السماء وحضارة الإنسان، ولو راجعنا الآيات التالية نجد صدق ما ذكرناه

استيعابا من جهة الممارسة والعلاج والمصدر الذي يعتمد الإرهاب اسلوبا ومنهجا:
المائدة: ٢٣، المائدة: ٦٤، البروج: ١٠، يونس: ٩٠، يونس: ٨٣، البقرة: ٤٩، الأعراف:٨٦، البقرة: ٦١، طه: ٧١، يس: ٢٥، الصافات:٩٧، الأنعام: ١٤٠.

وقد تعمدنا أن نقرن الإرهاب بالطائفية والتعصب لأنهما من أشهر مناشئه وأسبابه وإن قراءة نموذج أو نموذجين من كتب التاريخ أو من سطور الموسوعات الفقهية بلحاظ أن الإرهاب يستهدف أول ما يستهدف الوجودات الدينية الأصيلة ترينا حقيقة صدق ذلك ومن هذه الامور:

المطلب الرابع : تنكيل السلاطين بمعارضيهم:

وننقل منه ثلاثة نماذج هي:

الاول: ذكر المؤرخون ومنهم الطبري بأن المنصور لما عزم على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي – وكان المهدي بالري فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن على أن تدفعها للمهدي، فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور إنه أخذ عهدا منها ألا يفتحه أحد حتى يصح عندها موته، فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة، فإذا أزح كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيين وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وعملوا عليها دكانا. وبهذا الأسلوب كانوا يريدون السيطرة على العلويين فكريا وسياسيا. علما بأن الشيعة كانوا لا يرون قيمة للسلطان لأنّه لا يتمسك بحكم الشرع ولا يتنزه عن الظلم ولا يتورع عن محارم الله تعالى هذا من جهة. ومن جهة أخرى كانوا يرون أحقية أهل البيت بالأمر، وإن رسول الله قد أوصى لهم وإنهم الدعاة إلى أمره ومن الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. فإن هذا المعنى والمفهوم كان لا يرضي الخليفة العباسي إذ كان ينظر إليهم نظرة خصم لا تلين قناته ولا يعمل الإرهاب عمله فيهم، واعتبرهم رافضة يجب التنكيل بهم لأن الإعراض عن طلبات السلطان يعني الرفض، والرفض غالبا ما يردف التنكيل والتحزب والِصاق التهم والخروج عن الدين![٦٧]

الثاني: يقول صاحب رياض المسائل وهو يحكي قصة الإرهاب القائم بين الشيعة والعثمانيين وبداية انتقال العلم من جبل عامل الى اصفهان في القرن العاشر الهجري في الشام: " فلما سقطت الدولة المملوكية على يد آل عثمان واستولى العثمانيون على الشام وقامت الدولة الصفوية في إيران جدد العثمانيون سياسة الاضطهاد ضد الشيعة بشكل عنيف وضيقوا عليهم. وكان من أبرز أحداث هذا

الاضطهاد الطائفي مصرع الشهيد الثاني زين الدين بن علي عام ٩٦٥ هـ بعد ملاحقة طويلة له في دمشق وجبل عامل والحجاز في موسم الحج. وكان لهذا الإرهاب الذي مارسه العثمانيون ضد فقهاء الشيعة في جبل عامل من جانب وحاجة الدولة الصفوية من جانب آخر إلى الفقهاء والعلماء لإدارة شؤون القضاء والفتيا والتوجيه الديني في النظام الصفوي دور كبير في هجرة علماء جبل عامل من بلاد الشام إلى إيران. وقد استفادت الدولة الصفوية كثيرا من وجود فقهاء جبل عامل في تنظيم شؤونها كما استفادت في توفير القضاء الشرعي لها، ووجد علماء جبل عامل في إيران مكانا آمنا لهم من الارهاب الذي كان يمارسه العثمانيون ضد الشيعة في الشام. وكان – هذا العامل المزدوج سببا في انتقال العلم من جبل عامل إلى أصفهان عاصمة الدولة الصفوية. (٦٨)

الثالث: تهمة السب والشتم، فقد اعتمد العباسيون كما هو الحال قبلهم من الامويين والعثمانيين سياسة اتهام الشيعة بالسب مرة ثانية فكان مصير كل من ثبتت عليه هذه التهمة هو رميه بالخروج عن الدين وتكفيره ومن ثم الحكم عليه بالموت، وهذا السلاح الخطير شَهَرَتْه هذه الحكومات بوجه العلويين لإضعافهم فقهيا وسياسيا واجتماعيا غير أن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا لا يريدون أن ينشغل المسلمون بمثل تلك الجزئيات ويتركوا أمهات المسائل وأصول الحكم والعدالة التي تلاعبت بها هذه الحكومات وأشعلت نار الخلافات والفتن بين المسلمين لإبعاد أنظارهم عما تفعله هي من مساوئ وتحريفات في الدين إذ كيف يمكن تصور صدور هذا السباب منهم وهم في تلك الحالة من المراقبة والحصار ؟ ! نعم، لا ينسجم السباب كأسلوب في الإنتقاص من الآخر أو غطاء يمكن التستر خلفه الا من قبل الأنظمة الجائرة فانها طالما ذهبت اليه لإسقاط خصومها وتمرير مخططاتها الخبيثة من خلاله (٦٩).

المطلب الخامس : موقف الشريعة من الارهاب:

يمكن استجلاء الموقف الشرعي من الإرهاب وممارساته من جميع الآيات والروايات التي قررت الحكم الشرعي القاسي بحق الارهابيين وهي كثيرة لا يمكن استيعابها الا من خلال مباحث كثيرة ويمكن استجلاء الموقف الشرعي من الوان الارهاب المعاصر من خلال استفتاء البعض عن بعض الممارسات التي تمت اليه بصلة. يقول السائل: نعيش في كندا وتصلنا مساعدة من الحكومة الكندية شهريا إلا أنها لا تكفينا فنضطر أن نعمل إضافة إلى المساعدة وعملنا هو توزيع الجرائد الإخبارية والإعلامية ومن ضمن الإعلانات التي تنشر عن الخمور والمجون والدعوة إلى السهرات في الفنادق

وكذلك من الأخبار التي تنشر من آونة لأخرى تشويه صورة المسلمين ولصق تهمة الإرهاب بهم فهل في توزيعنا لهذه الجريدة إشكال علما أنه يصعب علينا تحصيل وظائف أخرى ؟ الجواب: لا يجوز نشر تلك الجرائد. (٧٠) وقد نوهنا أن التعصب والطائفية هما من أخطر الاسباب التي تقف وراء ممارسة الإرهاب العدواني وذلك لأن التعصب المذهبي الاعمى يبعث على التفرقة والأضغان والعداوة والتكفير أو إدعاء ما لا دليل عليه. (٧١) بل إن التعصب من الأخلاق والسلوكيات التي تذهب بالعدالة بل والإيمان معها(٧٢)، سئل علي بن الحسين (عليه السلام) عن العصبية، فقال: (العصبية التي يأثم عليها صاحبها: أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم) (٧٣) جاء في مقدمة الرسالة السعدية للعلامة الحلي: "وأن المذاهب ستبقى نقمة، إذا أصر كل فريق على التعصب لمذهبه..، وذلك لأن التعصب باعث للأضغان، والأحقاد، وعامل فذ من عوامل التفرقة، والتفرقة تعطي أعداء الاسلام قوة إلى قوتهم، وتساعدهم على ابتزاز منابع الحياة عند المسلمين، وسجنهم في مناطق نفوذهم..، ويؤكد في الوقت عينه: أنهم بعيدون عن نهج الاسلام، الذي قام على أساس قوله سبحانه: **[وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا]**آل عمران / ١٠٣ ، وقوله: **[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ]الحجرات / ١٠**"(٧٤).

أقول: وكل هذه الظواهر السلبية سواء كانت عللا أو معلولات لا تأخذ بيد الانسان نحو حضارة راقية بل تأخذ بيده نحو الاتجاه المعاكس الذي لا يعطي الحضارة الدينية الا ضعفا وتقويضا وابتزازا لمنابع الحياة والتطور، ونحو السجن في مناطق نفوذها، والابتعاد عن نهج الاسلام. في حين نجد التربية القرآنية تدعم الحضارة الدينية، يقول الوحيد الخراساني:

" لما ورثت الدولة الإسلامية سلطان إمبراطورية الروم والفرس، وكان مالك الأشتر القائد العام لقوات أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وذات يوم كان مالك مجتازا سوق الكوفة وعليه قميص خام وعمامة منه، فرآه بعض السوقة فسخر من زيه، فرماه ببندقة تهاونا به، فمضى ولم يلتفت ! فقيل له: ويلك أتدري من رميت ؟ ! فقال: لا، فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) ! فارتعد الرجل، ومضى إليه ليعتذر منه، فرآه وقد دخل مسجدا وهو قائم يصلي، فلما انفتل أكب الرجل على قدميه يقبلهما، فقال له: ما هذا الأمر ؟ ! فقال: أعتذر إليك مما صنعت، فقال: لا بأس عليك، فوالله ما دخلت المسجد إلا لأستغفرنَّ لك !. لقد كان أثر التربية القرآنية على مالك أن غرور المنصب الكبير لم يسلبه خضوع العبد المؤمن للحي القيوم عز وجل، وأن يجازي ذلك الذي أهانه – وهو

مضطرب لا يدري ماذا سيلاقي من العقوبة – بأفضل الخيرات، بأن شفع له إلى الله تعالى، وطلب أن يغفر له ! هذه هي التربية التي أزالت الفوارق القومية الراسخة في النفوس، ومنها التعصب القومي بين العرب والفرس وغيرهم، فعندما اعترض بعضهم على جلوس سلمان الفارسي وأمثاله في مجلس النبي إلى جانب شخصيات قبائل العرب، وطلبوا من النبي أن يجعل لهم مجلسا خاصا، أجابهم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله تعالى: **[وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا]**، فصار سلمان أميرا على المدائن، وكان عطاؤه خمسة آلاف، وإذا خرج عطاؤه تصدق به، وكان يأكل من عمل يده، وكانت له عباءة يفرش بعضها ويلبس بعضها. كما استطاعت أن تزيل فوارق العِرق واللون، فصار بلال الغلام الأسود المؤذن الخاص للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصاحبه المقرب، وعندما اعترض بعض زعماء قريش قائلا: (أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا !)، كان جواب النبي لهم بقوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ]**. وقد غرس القرآن دوحة جذورها العلم والمعرفة، وجذعها الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، وفروعها الملكات الحميدة والأخلاق الفاضلة، وأزهارها التقوى والورع، وثمارها الأقوال المحكمة والأفعال المحمودة **[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا]**"[٧٥].

ويرى الشهيد الصدر أنَّ الإسلام يختلف في خلق حضارة متقدمة مع الماركسية، فالماركسية تبارك الرق على أبعد مدى وبأفظع صورة، في المجتمع الذي يعيش على الإنتاج اليدوي للانسان، لأن مثل هذا المجتمع لا يمكن أن يدفع إلى مضاعفة النشاط المنتج، إلا إذا رفعت السياط على رؤوس الكثرة الكاثرة من أفراده، وأجبروا على العمل تحت وقع السياط ووخز الخناجر، فمن يباشر عملية الارهاب الهائل ويمسك السوط بيده، هو الرجل التقدمي والطليعة الثورية في ذلك المجتمع، لأنه الساهر دون وعي على تحقيق إرادة التاريخ. وأما ذاك الفرد الآخر الذي يستنكف عن الاشتراك في عملية الاسترقاق، ويترك هذه الفرصة الذهبية.. فهو جدير بكل النعوت التي يطلقها الاشتراكيون اليوم على الرأسمالي، لأنه رجل يعارض عملية التقدم البشري. وأما الإسلام فهو يحكم على كل نظام في ضوء صلته بالحاجات الإنسانية المتنوعة، التي يجب على النظام تكييف الحياة تكيفا يضمن إشباعها، بوصفها الأساس لنشوء الحياة الاجتماعية. ولا يعتبر هذا الشكل أو ذاك من أشكال الإنتاج، مبررا لقيام نظام اجتماعي وعلاقات توزيع لا تكفل إشباع تلك الحاجات، لأنه ينكر تلك الصلة الحتمية

المزعومة بين أشكال الإنتاج والنظم الاجتماعية.(٧٦)

وبعبارة أخرى إن الماركسية تجيز عملية الارهاب – الذي نحن بصدد ذكره وبصدد علاقته بالحضارة الدينية من عدمها – لخلق مجتمع تقدمي وحضاري وتصف من يقوم بذلك بأنه الامين على تحقيق ارادة التاريخ. على خلاف الاسلام الذي لا يقر بذلك ويرى أن التقدم والحضارة لا يقوم على هذا الشرط الذي قررته الماركسية بل يقوم على ضوء قيام النظام بالحاجات الانسانية المتنوعة وتكييف الحياة تكيفا يضمن اشباعها.

وأما السيد عبدالله شبر في تفسيره فيقول في هذا المجال: " من بين تلك الظلمات المذكورة بزغ القرآن الكريم بأنواره... فجاء في إجماله وتفصيله مستقصيا للأخلاق الفاضلة على حدودها بالحث على التزين بها بما توجبه الحكمة من البعث والترغيب. ومحصيا للأخلاق الرذيلة بالزجر عن التلوث بها بما يوجبه الاصلاح من الارهاب والتنفير. وأقام لذلك في العالم أشرف مدرسة زاهرة، وأعلى فلسفة مرشدة، وأبلغ خطابة واعظة. وإليك بعضا من جوامعه في ذلك كقوله تعالى في سورة النحل: ٩٠ **[...يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]** ومن سورة الفرقان ما في الآية الرابعة والستين إلى الخامسة والسبعين، ومن سورة المعارج ما في الآية الثالثة والعشرين إلى الثالثة والثلاثين، ومن سورة الحجرات ما في الآيات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة، وغير ذلك مما لا يكاد أن تخلو منه سورة أو يتخطّاه تعليم أو يحابى به قوم دون قوم أو يتجاوز بالافراط إلى التفريط والاخلال بنظام المدنية وراحة الاجتماع" (٧٧).

وبهذا التفكير المتفق عليه بين الفلاسفة والمفكرين والمفسرين والفقهاء يتضح مدى اهتمام الاسلام بالحضارة الدينية وتشخيص المعيقات التي تقف أمامها وتحول دون الوصول اليها وتحقيقها، وبالتالي تتضح من خلاله مساهماتها في أخذ المجتمع باتجاهها وعبر برنامجها الذي توضحت في البحث بعض معالمه.

والمعيق الرابع هو ايثار الجانب المادي على الجانب المعنوي، يقول الله تعالى في الإشارة الى هذا الأمر **[وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا]**(٧٨)، ويقول تعالى: **[وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ]**(٧٩)، ويقول: **[أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ]**(٨٠)، ويقول تعالى: **[بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى]**(٨١)، ويقول تعالى: **(مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ)**(٨٢)، ويقول تعالى:**[إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا]** (٨٣) بوصف وجود هذا الميل في طبع الانسان، وبوصف حركته في الدنيا وعيشه فيها. والقرآن خاتم الرسالات لم يركز على جانب واحد بل ركز على كلا

الجانبين اللذين هما محل الخيار، قال تعالى: **[رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً]**(٨٤) بل وجَّه الإنسان أن لا يختار على الآخرة شيئا ورغب بهذا التوجيه قال تعالى: **[مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ]**(٨٥).

أقول: من خلال قراء هذه الآيات يتبين للقاريء العزيز أن الحضارة الدينية توجه لبناء الإنسان وبناء صرحها جزءا من جهد الإنسان لبناء الجانب المادي منهما والجزء الأهم والأكبر توجهه لبناء الجانب المعنوي والأخروي على خلاف الحضارة المادية التي توجه جل الجهد الإنساني لبناء الجانب المادي من الحياة الإنسانية معرضة عما يسمى بنظرها عن الجانب الأخروي، ففرق كبير بين حضارة يصرف الإنسان في ظلالها للجانب المادي في أحسن الأحوال نصف ما تصرفه الحضارة المادية، وعليه ليس من الصحيح أن يقاس حجم المخرجات المادية عند الحضارة الدينية بحجمها عند الحضارة المادية، وإذا قيل كيف تستطيع الحضارة الدينية أن تحمي نفسها قبال هكذا جهد مبذول من قبل الحضارة المادية التي تستهدفها في أغلب الأحوال ؟

الجواب: صحيح إن الحضارة الدينية لا ترى الضعف مسببا عن منطق القلة ولا عن منطق الجهد المبذول إذا كان ما هو مبذول بقدر المستطاع بل تبني قوتها ووسائل حماية نفسها من خلال الإيمان بالله العلي القدير والقوي المسيطر المهيمن ساعية في اضافة هذه القوة اللانهائية التي لا يمكن للخصم أن يتوفر عليها ومن خلال عوامل أخرى في جناية القوة وهي: الصبر وفقه الدفاع والقوة، قال تعالى: **[إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]** (٨٦) وقال تعالى: **[وَإِنَّ اللَّـهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ]**(٨٧). وقال تعالى: **[إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ]**(٨٨) حتى لا يفوت المؤمنون بالاسلام تقدّم ما قد يتخيل أنه قد فاتهم بعدم بذل الجهد الذي تبذله الحضارة المادية، أو قد فاتهم مواكبة ما يدور حولهم من تقدم اقتصادي أو صناعي أو عسكري.

يقول الشيخ السبحاني في هذا الصدد: " في حين أنَّ الحضارة المادية لا تتماشى مع مبادئ الحضارات الإنسانية التقدمية ولا تسعدها في معترك الحياة، ولا تتلاءم مع حكم العقل ولا الفطرة السليمة. وقد جاء الاسلام على رأس الحضارات الدينية لينظر إلى واقع الإنسان، بما هو كائن، لا غنى له عن المادة، ولا عن الحياة الروحية، فأولاهما عنايته، ودعا إلى المادة والالتذاذ بها بشكل لا يضر بالحياة الروحية، ودعا إلى حياة روحية لا تصطدم مع الفطرة وطبيعتها. هذه هي حقيقة الإسلام ومرونته وسبب تماشيه مع الحضارات المختلفة حتى حضارة اليوم الصناعية. " (٨٩)

المبحث الثالث

سياسة علماء الإمامية وتأثيرهم في صدّ خطر التعصّب والطائفية

علماء الإمامية ومنهج الإعتدال:

إن المنهج الذي رسمته الآيات والروايات والإجماع وسيرة المعصومين عليهم السلام والصحابة الأجلاء كما هو واضح في كثير من الآيات وسبب نزولها والروايات ومحيطها الذي استدعاها والسيرة الصريحة للمتشرعة والإستهداء بالعقل في تحاشي الإصطدام مع الغير ما دام الهدف أكبر عطاء من هذا الاصطدام، وما دامت المصالح هي المبرر في التضحية بالأقل من أجل بقاء الأكثر والأكبر، وبعبارة أخرى ما دام العقل والنقل قائمين في نفي الحرج بل ونفي العسر بل وإرادة اليسر مع ان ما دل على وجوب حفظ النفس من اليقينيات من القرآن والأخبار المتواترة مضافا الى نفي الضرر والإضرار كل مفردات هذا المنهج الرباني تدعو الى فلسفة الأمن والسلام بأعلى صوره وأشكاله.

أقول: على هذا المنهج سار علماء الطائفة الإمامية كلما سمحت الظروف الموضوعية، والشريعة بهذا المنهج تحقق الرؤية الإسلامية السلمية في التعايش مع الآخرين وتحقق المناخ الصالح لقضيتي الإيمان والعبادة معا، ومن هنا فليس غريبا أن توصف سيرة علماء الطائفة بالإعتدال والإنصاف في مجالات الفقه والكلام.

أسلوب الحوار:

إن أبرز الاساليب التي اعتمدها فقهاء الامامية وعلمائهم هو اسلوب الحوار ذلك لان قوة جاذبيته نابعة بوصفه منهجا قرآنيا سار عليه الانبياء والائمة المعصومين وسار عليه المنطق والعقل السليم ويفهمه الناس عامة بعيدا عن المصطلحات الفلسفية إلا إذا المحاوَر من المتخصصين من أهل العلم والفلسفة ومن اشهر هؤلاء الفقهاء الامامية الذين استعملوا الحوار في مناصرة قضايا الحق ومناجزة الباطل وتنوير الافكار هم الشيخ الصدوق والشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي والعلامة الحلي فالشيخ الطوسي كانت له محاورات ومناظرات مع ركن الملك الدولة البويهي الديلمي قد خرج منها منتصرا على شبهات المبطلين وسفاسفهم ونجاة المحقين وفيما يلي ننقل مناظرة له مع الملك ركن الدولة الديلمي في كتاب مواقف الشيعة: " وصف للملك ركن الدولة ابن بويه الديلمي الشيخ الأجل محمد بن بابويه(الصدوق) ومجالسه وأحاديثه، فأرسل إليه على وجه الكرامة، فلما حضر قال له: أيها الشيخ قد اختلف الحاضرون في القوم الذين يطعن عليهم الشيعة، فقال بعضهم: يجب

الطعن، وقال بعضهم: لا يجوز، فما عندك في هذا ؟ فقال الشيخ: أيها الملك، إن الله تعالى لم يقبل من عباده الاقرار بتوحيده حتى ينفوا كل إله وكل صنم عبد من دونه، ألا ترى أنه تعالى أمرهم أن يقولوا: لا إله إلا الله فـ " لا إله " غيره وهو نفي كل إله عبد دون الله تعالى ، و " إلا الله " إثبات الله عز وجل، وهكذا لم يقبل الاقرار من عباده بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى نفوا كل من كان مثل مسيلمة وسجاح والأسود العنسي وأشباههم. وهكذا لا يقبل القول بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلا بعد نفي كل ضد انتصب للأمة دونه. فقال الملك: هذا هو الحق. وكان رجل قائما على رأس الملك يقال له: أبو القاسم، فاستأذن في الكلام فأذن له، فقال: أيها الشيخ، كيف يجوز أن تجتمع هذه الأمة على ضلالة مع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " أمتي لا تجتمع على ضلالة " ؟ قال الشيخ: إن صح هذا الحديث يجب أن يعرف فيه ما معنى الأمة، لأن الأمة في اللغة هي الجماعة، وقال قوم: أقل الجماعة ثلاثة [٩٠].

أقول: فمن هذه المحاورة الكلامية في بلاط الملك يستشف مدى قدرة المحاور الامامي على المسك بزمام الحقيقة وتنوير العقول بها ودفع الشبهات عنها، وهذان الامران من مفردات تدعيم الحضارة الدينية الحقة وترسيخها، ولولا هذه الجهود العلمية والكلامية المتميزة وهذا الاسلوب الحضاري المتقدم لما بقي أثر منها أمام ما يشن عليها من أباطيل وأحابيل.

الشيخ المفيد:

أما الشيخ المفيد استاذه وقد واجه في بغداد العاصمة من قبل السلطة النفي لعدة مرات لا لشيء إلا لأنه كان يعرض الحقيقة من خلال الدليل العلمي والحوار الموضوعي وواجه التضييق رغم أنه لم يدع إلا الى رسالة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومما يؤيد ذلك انه وقعت في أيامه اضطرابات وفتن طائفية في بغداد، وكان من مقتضيات السياسة اللئيمة آنذاك نفيه من بغداد، ووضعه تحت الإقامة الجبرية خارجها، ونصرة المعتدين عليه. فمن ذلك ما حدث سنة (٣٩٣ هـ)، وتكرر في رجب عام (٣٩٨ هـ)، وكان إخراج المفيد من بغداد ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، إلى أن شفع فيه علي بن المزيد فأعيد [٩١]، ولأنه كان على هذا المنهج الموسوم بالعلم وبالرحمة والمحبة المحمدية كان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف حسب قول ابن كثير في البداية والنهاية [٩٢] ولهذا وغيره من صفاته الحميدة وروحه البعيدة عن الفتنة والتعصب كان يوم وفاته يوما لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء

من المخالف له ومن المؤالف وهي شهادة معاصره محمد بن اسحاق النديم (ت٣٨٥ هـ) في الفهرست[٩٣] وهو صريح قصيدة رثائه للشاعر مهيار الديلمي التسعينية التي ورد فيها:

وتَشابَهَ الباكُـــونَ فِيكَ فَلَمْ يَبِنْ *** دَمْـعُ المُحِقِّ لَنـَا منَ المتعمِّلِ[٩٤]

الا من أهل أهل النصب والتعصب – الذين يقولون بالشيء وضده فإن قال خصمهم بأحدهما قال المتعصب بالثاني وإن قال الخصم بالثاني قال المتعصب بالأول – من المتحاملين عليه... والمستبشرين بموته والقائلين فيه أراح الله منه من أمثال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[٩٥]وعبيدالله الجعاف المعروف بابن النقيب الذي ورد عنه في قاموس الرجال ج٨ ص٣٦٣ قوله:" ما أبالي أي وقت أموت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم " والمنقول أيضا في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٠ ص٣٧٢ ومن أمثال الذهبي في تاريخ الإسلام ج٢٨ ص٣٣٣ واليافعي في تاريخه المسمى بمرآة الجنان ج٣ ص٢٨عند ذكر سنة ٤١٣ وفي مجالس المؤمنين: ج١ ص٤٦٦ وابن طي الحلبي في تاريخ الإمامية كما في شذرات الذهب ج٣ ص ١٩٩وفي أوائل المقالات للشيخ المفيد تحت عنوان (مناظراته مع المخالفين) جاء ما يأتي:

" كان للمصنف مناظرات كثيرة مع كثير من متكلمي الفرق المختلفة وقد سبق ما ذكره اليافعي من أنه كان يناظر أهل كل عقيدة. وقد جمع مناظراته ومحاسن مجالسه ومختار كلامه في كتاب له سماه بـ (العيون والمحاسن) وقد لخص تلميذه الشريف المرتضى هذا الكتاب في كتاب متداول سماه بـ (الفصول المختارة) ولبعض متكلمي أهل السنة ومؤرخيهم كلمات في حقه تدل على شدة ما كانوا ينالونه من احتجاجاته ومناظراته نكتفي منها بنقل جملة منها، قال الخطيب البغدادي في ترجمته للمصنف: (صنف ابن المعلم كتبا كثيرة في ضلالتهم والذب عن اعتقادهم ومقالاتهم (يعني الشيعة الإمامية) وكان أحد أئمة الضلال هلك به خلق كثير من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه)، وبمثل ذلك أيضا قال ابن تغرى بردى في (النجوم الزاهرة) في حوادث سنة ٤١٣ هـ واليافعي في (مرآة الجنان) [٩٦]. وقال أبو حيان التوحيدي(ت٤٠٠ بشيراز) في ضمن ذكر محاضرة في كتابه (الامتاع والمؤانسة) وصف في أثنائها مشاهير من كان في ذلك العصر من المتكلمين فقال: (وأما ابن المعلم فحسن اللسان والجدل، صبور على الخصم، كثير الحيلة، ضنين السر، جميل العلانية. وقد ذكرت بعض مناظراته مع القاضي عبد الجبار بن أحمد وغيره في مواضع أخرى لا يسعنا التطويل بذكرها هيهنا)" [٩٧]

أقول: ومما تقدم يتضح أن لعلماء الامامية القدرة على الدخول بكفاءة عالية في كل حقول المعرفة

الانسانية والعلمية دون أن يخرجوا منها إلا وهم يمسكون بقصب السبق والظفر، وأن خصومهم لا يخرجون من ميدان الحوار إلا بطرف مرتد حسير، وهذه النتيجة تعني بالملازمة أن الحضارة الدينية الحقة التي يفتخر بها الناس كل الناس ومن كل طوائفهم الدينية ويبكون على أفذاذها وروادها – الا المرضى منهم كالمتعصبين وأهل النصب – لم تتنفس الصعداء إلا على أيدي فقهاء الامامية وعلمائهم، ولسنا نطلق هذا الكلام عاطفة أو تعصبا وإنما ننقله بالمضمون من كبار المؤرخين.

يقول ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية في وصف مجلس الشيخ المفيد: " وكان يحضر مجلسه خلق عظيم من طوائف الإسلام جميعا " [٩٨]. وما أروع تعليق العلامة الأميني عليه في " الغدير، قال: " هذا ينم عن أنه كان شيخ الأمة الإسلامية لا الإمامية فحسب "[٩٩]

السيد المرتضى:

وأما السيد المرتضى فهو بارع في المناظرة وعلم الكلام كأستاذه العلامة الشيخ المفيد، ومجلسه كمجلسه يحضره أقطاب العلماء من كافة المذاهب، بل وسائر الملل يدرس عليه اليهودي ويختلف اليه الصابئة ويترددون. يقول ابن الجوزي في أول الترجمة: بأن المرتضى كان يناظر عنده في المذاهب كلها ، وهذا يدل على فضل اطلاعه على فوارق المذاهب ومواد الخلاف فيما بينهم. وهو مع ذلك كان محترما لدى جميعهم. معظما عندهم، إلا عند حساده ومناوئيه. " فقد ذكر عن الشيخ أبي جعفر محمد بن يحيى بن مبارك بن مقبل (كذا ولعله معقل) الغساني الحمصي أنه قال: ما رأيت رجلا من العامة إلا وهو يثني عليه، وما رأيت من يبخسه حقه، وما رأيت إلا من يزعم أنه من طائفته ".[١٠٠]

وجاء عن الصفدي في الوافي بالوفيات:" إنه كان فاضلا ماهرا، أديبا متكلما، له مصنفات على مذهب الشيعة، قال الخطيب البغدادي: كتبت عنه وكان رأسا في الاعتزال، كثير الاطلاع والجدال. [١٠١]

وقال الثعالبي صاحب يتيمة الدهر: "وقد انتهت الرياسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب، والفضل والكرم... وقد سئل عنه فيلسوف المعرة أبو العلاء بعد أن حضر مجلسه فقال:

يا سائلي عنه لما جئت أسأله * فإنه الرجـــل العاري عن العـــــار**
لو جئته لرأيت الناس في رجل * والدهـــر في ساعـة والأرض في دار**

وكان نصير الدين الطوسي الفيلسوف الرياضي المشهور يقول – إذا جرى ذكر المرتضى في درسه –: " صلوات الله عليه "، ثم يلتفت إلى القضاة والمدرسين الحاضرين درسه، ويقول: كيف لا يصلي على المرتضى ؟ !.

وأما علمه باللغة والادب فيدل على اطلاع واسع على لغة العرب بدراسة علومها ومعرفة لسانها في مختلف ديارها ومواطنها، وقد كان الشيخ عز الدين أحمد بن مقبل يقول: لو حلف إنسان أن السيد المرتضى كان أعلم بالعربية من العرب لم يكن عندي آثما، وكتابه الأمالي المعروف بـ " غرر الفوائد ودرر القلائد " يشتمل على محاسن فنون تكلم المتأثرين بالفلسفة اليونانية وقواعدها المنطقية المبنية على منطق أرسطو والهيات أفلاطون ومغالطات بروتاغوراس، وغيرهم، هذا إذا فسرنا الفلسفة بأنها النظر العقلي في الأشياء، فهو يفسر ظواهر الكون وفعاليات الأحياء مستندا إلى ثلاث دعائم أساسية، هي السماع والعقل وجريان العادة، وأقصد بالسماع ما وردت به آية محكمة أو خبر صحيح، وبالعقل ما أثبتته الأدلة العقلية بالبرهان العقلي غير المستند على أوهام الفلاسفة وسفسطاتهم. فهو عندما يعوزه الدليل السمعي يلجأ إلى التعليل العقلي، فإن أعياه هذا ركن إلى القول بجريان العادة التي يسندها إلى الله تعالى، ويريد بالعادة ما نسميه بالسنة الكونية أو الناموس الطبيعي، سواء كان ذلك الناموس حياتيا يتعلق بالأحياء وفعالياتهم، أو كيميائيا حيويا ممتزجا، أو فيزيائيا صرفا. ففلسفته من لون خاص تمتزج فيها أحيانا الروحية مع المادية وتنفرد إحداهما عن الأخرى أحيانا أخر. فيها في النحو واللغة والشعر والتفسير والكلام وغير ذلك، حتى أن شيخا من شيوخ الأدب بمصر قال فيه: والله إني استفدت من كتاب الغرر مسائل لم أجدها في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو. وأما فسلفته فللمرتضى فلسفة إسلامية خاصة في تفسير الأشياء وظاهراتها تختلف عن تفسير فلاسفة المسلمين كافة ." (١٠٢)

أقول: وإن الاستغراق في جوانب حياة السيد المرتضى يجدها موسوعة حضارية مستقلة قائمة على هدي القرآن والسنة المطهرة والعقل والسيرة المباركة لأهل الشرع القويم ينهل منها البعيد والقريب ويستظل بظلالها طالب العلم والحكمة والمعرفة من كل الطوائف والاديان فراجع كتب ومؤلفات الشريف المرتضى.

الشيخ الطوسي:

وأما الشيخ الطوسي وما أدراك ما الشيخ الطوسي فقد وصل به الحد أن تكون بعض كتبه الفقهية والتفسيرية والحديثية كالمبسوط والتبيان والخلاف ميدانا لترويج الكثير من المسائل الفقهية الشافعية والروايات المنقولة من(الطرف الآخر) بل تعدى في ذلك الى إشاعة طريقة الإجتهاد المعروفة عند أهل السنة بين أهل طائفته بدرجة جعلت البعض من علماء السنة كالسبكي والسيوطي والشلبي أن يعدوه من علماء الشافعية الذين عدلوا إلى الإمامية.

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه: ما السبب في نسبة الشيخ إلى مذهب الشافعي على لسان عديد من علماء السنة فقط ؟ ولماذا امتنع علماء الشيعة من ذكره ؟ فسكتوا عنه ؟ لعل قائلا يقول إن السبب الوحيد هو التعصب والطائفية، لكنه قول باطل، إذ لو كان الشيخ شافعيا في بدء أمره فانتقل إلى التشيع، لكان ذلك مفخرة للشيعة وليس عارا عليهم، لأنه قبل كل شئ دليل على أصالة هذا المذهب وقوته. مع أن علماء الشيعة لم يتحاشوا عن الاعتراف بذلك في ترجمة علماء كبار أمثال " ابن قبة " – هو أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن بن قبة (بكسر الأول وتخفيف الثاني) وزحف الرازي، كان معتزليا رجع إلى المذهب الإمامي، رجال النجاشي ص ٢٩٠. و " العياشي " هو أبو النصر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بـ " العياشي " وزان " العباسي " كان أولا من أهل السنة ثم تشيع وكان متضلعا بالحديث والأخبار وله فيها تآليف كثيرة، رجال النجاشي ص ٢٧٠ فانتقال رجل معروف وعالم كبير مثل الشيخ الطوسي ولو في أوائل أمره من مذهب الشافعي إلى المذهب الشيعي، لا يعد فخرا للشافعية، ولا نقصا للشيعة، بل الأمر على عكس ذلك. على أن علماء السنة لم ينسبوا أحدا من كبار الشيعة الآخرين كالشيخ المفيد، والسيد المرتضى وأمثالهم إلى مذهب آخر، فما هو السبب إذاً ؟ "

في رأيي أن اعتدال الشيخ وإنصافه في الأبحاث الكلامية، ونقله لآراء علماء المذاهب الإسلامية في كتاباته لا سيما تفسير التبيان وكتاب " الخلاف "، وترويجه للفقه التفريعي وإشاعته طريقة " الاجتهاد " بين الشيعة على النحو المعمول به عند أهل السنة واقتباسه عباراتهم وخصوصا من كتب الإمام الشافعي ولا سيما في كتابه " المبسوط "، وإيراده للروايات من طرقهم.، وتصميمه على جمع روايات الفريقين في كتابه " تهذيب الأحكام " في بدء العمل – وإن انصرف عنه فيما بعد – وأمثال هذه الأمور لعلها كانت باعثة على صدور هذا الوهم من جانب العلماء الثلاثة المذكورين... بل من المعلوم عدم إحاطة هؤلاء المذكورين معرفة كاملة بالشيخ الطوسي وكتاباته. وبعض المعاصرين من

أهل السنة عرفوه كما كان عليه الأمر نفسه، وقالوا عنه: " كان عالما على المنهاجين الإمامي والسني " (١٠٣). وقد احسن مقدم كتاب الرسائل العشر للشيخ الطوسي في الإشارة الى هذا المنهج المعتدل البعيد عن التطرف الفكري والعنف العقائدي حيث جاء في مقدمته:

"والشيء الملفت في حياة الشيخ الطوسي على رغم كونه إمام الطائفة الشيعية وشيخها نراه عندما هاجر من بغداد الى النجف بالقوة والضغط وكانت هجرته محفوفة بالخوف والاضطراب بل الحرمان والافتقار. ولعل هذه الحالة لازمته حتى وفاته ".

أقول: لاحظ أيها القاريء العزيز والباحث عن الحقيقة أن الشيخ الطوسي رغم ما كان عليه من منصب علمي واجتماعي لم يكن من سياسته تأزيم المواقف السياسية والإجتماعية للبلد الذي يعيش فيه لا هو ولا أتباعه كما هو شأن الآخرين ممن يفقدون مناصبهم السياسية، بل راح يرضى لنفسه ولطلابه وابناء مدرسة اهل البيت(عليهم السلام) أن يكونوا بعيدين عن الفتن ومساحاتها؛ ذلك لأن الدين الذي تديَّنوا به لا يسمح لهم باثارة الفتن وإهلاك الحرث والنسل من اجل مصالح يبعث عليها التعصب والحس الطائفي. فإذا أردنا أن نضع مسيرة الشيخ تحت المعايير الحضارية الحديثة في الإنفتاح على علوم الآخرين وثقافاتهم، والنأي عن مساحات الفتنة، وانتهاج منهج الإنصاف والموضوعية في تناول المسائل الفقهية والكلامية نجدها تمسك قصب السبق وتحتل مكانة القدوة لمن يدفعون إناس هذا العالم الى بعث الروح الحضارية وحفظ معالم السلم والامن بين بني البشر ومجتمعاتهم.

العلامة الحلي:

وهنا نحيط القارئ بنموذجين من حياة العلامة الحلي: الاول في جانبه الاخلاقي والثاني في فقاهته فنقول نقلا عن الفائدة والبرهان للمحقق الاردبيلي:

١ – الجانب الاخلاقي: "وأما العلامة الحلي فقد كان من كماله النفسي وسمو روحه أنه لم يواجه أحدا ممن تهجم عليه وسبه من علماء أهل السنة إلا بالرد الحسن الجميل، وقد كان أشدهم عليه ابن تيمية الذي بلغ من تعصبه في الجدل وعدم منطقيته في الرد على العلامة أن انتقده علماء السنة أنفسهم " بل نقل السخاوي عن شيخه ابن حجر: إنه بلغه أن ابن المطهر لما حج اجتمع هو وابن تيمية وتذاكرا، وأعجب ابن تيمية كلامه فقال له: من تكون يا هذا، فقال: الذي تسميه ابن المنجس، فحصل بينهما أنس ومباسطة، وليس هذا الخلق الإسلامى الرائع الذي تحلى به الإمام ابن المطهر أمرا اختص به فقد عرف ذلك من عامة علماء مدرسة أهل البيت عليهم

السلام، في سيرتهم مع مخالفيهم، وذلك مما ورثوه عن أئمتهم عليهم السلام الذين كانوا يبالغون في التأكيد على حسن السيرة مع العامة، وعلى رد الإساءة بالاحسان. (١٠٤)

٢ – الجانب الفقهي: ومن روائع أخبار مولانا الإمام ابن المطهر، قضية تشيع السلطان المغولي الشاه محمد خدابنده على يديه، وقد نقل العلامة محسن الأمين في موسوعته الشهيرة " أعيان الشيعة " عن العلامة المجلسي في شرح الفقيه، ما نصه:

" إن السلطان أولجايتو محمد المغولي الملقب بـ " شاه خدابنده " غضب على إحدى زوجاته، فقال لها: أنت طالق ثلاثا، ثم ندم فسأل العلماء فقالوا: لا بد من المحلل، فقال: لكم في كل مسألة أقوال فهل يوجد هنا اختلاف ؟ فقالوا: لا، فقال أحد وزرائه: في الحلة عالم يفتي ببطلان هذا الطلاق، فقال العلماء: إن مذهبه باطل، ولا عقل له ولا لأصحابه، ولا يليق بالملك أن يبعث إلى مثله، فقال الملك: أمهلوا حتى يحضره ونرى كلامه. فبعث، فأحضر العلامة الحلي، فلما حضر جمع له الملك علماء المذهب كلهم ، فلما دخل على الملك – أخذ نعله بيده ودخل وسلم، وجلس إلى جانب الملك، فقالوا للملك: ألم نقل لك إنهم ضعفاء العقول، فقال: اسئلوه عن كل ما فعل. فقالوا: لماذا لم تخضع للملك بهيئة الركوع ؟ فقال لأن رسول الله صلى الله عليه و آله لم يكن يركع له أحد، وكان يسلم عليه وقال الله تعالى **[فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّـهِ مُبَارَكَةً]** ولا يجوز الركوع والسجود لغير الله، قالوا: فلم جلست بجنب الملك ؟ قال: لأنه لم يكن مكان خال غيره، قالوا: فلم أخذت نعليك بيدك وهو مناف للأدب، قال: خفت أن يسرقه بعض أهل المذاهب كما سرقوا نعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فقالوا: إن أهل المذاهب لم يكونوا في عهد رسول الله ص، بل ولدوا بعد المأة فما فوق من وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم)، كل هذا والترجمان يترجم للملك كما يقوله العلامة، فقال للملك: قد سمعت اعترافهم هذا، فمن أين حصروا الاجتهاد فيهم ولم يجوزوا الأخذ من غيرهم، ولو فرض أنه أعلم. فقال الملك: ألم يكن أحد من أصحاب المذاهب في زمن النبي صلى الله عليه وآله ولا الصحابة ؟ قالوا: لا، قال العلامة، ونحن نأخذ مذهبنا عن علي بن أبي طالب نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخيه وابن عمه ووصيه، وعن أولاده من بعده " فسأله عن الطلاق، فقال: باطل، لعدم الشهود العدول، وجرى البحث بينه و بين العلماء حتى ألزمهم جميعا، فتشيع الملك، وخطب، بأسماء الأئمة الاثني عشر في جميع بلاده، وأمر فضربت السكة بأسمائهم وأمر بكتابتها على المساجد والمشاهد." (١٠٥)، وهكذا تعمل الأخلاق مرة في تغيير خلق العداوة الى مؤانسة ويغير العلم الوفير شكل الحضارة ومظهرها الخارجي في مرافق الحياة كلها ، وما ذكرته قصة تشيع الملك ماهي إلا مثال واحد من أمثلة كثيرة لدور سياسة علماء الامامية في اعطاء الحضارة

رونقها وشكلها الذي يحكي عن المضمون والواقعية، قال تعالى: **[فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ]**(١٠٦).

ولو انتقلنا من علماء الطائفة الامامية من ذلك العصر الى عصرنا الحديث وتعرفنا على الدور الحضاري الديني الذي اتحفوا به متحف الحضارة الدينية لوجدنا الامام الخميني يقف في الصدارة حيث ارجع الاسلام الى سابق عهده في صلاحيته للحكم وقيادة المجتمع سياسيا، والشهيد محمد باقر الصدر الذي ايقظ العالم على غفلته في اتباع نظريات وفلسفات مخطوءة على رأسها الفلسفة المادية والفكر البرجوازي الرأسمالي واستبدلهما بفكر الاسلام الذي لا يأتيه الخطأ ابدا وجعل الشباب المسلمين يرفعون رؤوسهم في ساحة الصراع الحضاري. وهكذا مع سائر العلماء الآخرين مثل الشهيد الصدر الثاني رائد التفعيل الشعبي وصلاة الجمعة في العراق والشيخ العامل بعلمه محمد مهدي الآصفي والسيد الخامنئي ابرع مهندسي الصراع الديني والسياسي بعد الامام الخميني مع اعتى قوة متفردة ودكتاتورية في العالم تستهدف الدين والانسان وخيراته، وآخرين عظام أفذاذ لم يتركوا من مفردات الحضارة الدينية والانسانية إلا أغنوها عمقا ووعيا وممارسة.

أقول: ما هي الحضارة التي تتمشدق بها المراكز الحضارية العالمية اليوم ؟ أليست هي: الاخلاق والعلم، اليست الحضارة لغة ضد البداوة. (١٠٧) وفي الإصطلاح مجموع الجوانب الدينية والإجتماعية والعلمية والفنية(١٠٨).أو أنها هي الكيان الثقافي في أوسع معانيه(١٠٩) بما له من جوانب صناعية وتنظيمية ومعيشية وفكرية وعمرانية.

وإذا كانت الكتب التي تؤلف في الحضارة التي تعنى بالعلم كل العلم بوصفه أشهر معالم الحضارة، خذ مثالا في كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ١ / ٢٢٥ ط مصر للمستشرق الألماني آدم متز يقول فيه:" ألف الرماني تفسيرا للقرآن بلغ من قيمته أنه قيل للصاحب بن عباد: هلا صنعت تفسيرا " ؟ فقال: وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئا " ؟ والصاحب معاصره المتوفى ٣٨٥ هـ. " (١١٠)

فإذا كانت الكتب الحضارية تهتم بهذه الرموز وبمؤلفاتهم، فماذا نقول للمؤلفات الحضارية حينما تكتب عن هذه الأطواد العلمية والاخلاقية الشامخة التي ذكرناها في البحث للمثال لا للإستقصاء ؟ وماذا تكتب وقد أعجزت خصومها فضلا عن مريديها وأشياعها، وإذا كانت الجهود الحضارية قد أبلت بلاءها وساهمت في حل أي مشكلة اجتماعية كانت أو علمية أو أخلاقية أو فلسفية أو فنية أو منهجية فما عساك تعطي– يا قارئي العزيز ونحن نعيش اليوم اعضل المشاكل وأخطرها –لعلماء

الامامية من دور وثقل في التصدي لها وحلها وانقاذ الامة من خطورتها ؟ وماذا تعطي –قارئي العزيز لعلماء الطاغوت ولثقافتهم ومفتيي بلاطهم –وقد عرفت من البحث ما يشير الى افلاسهم الثقافي والعلمي– من دور في صنع صرح الحضارات الانسانية والدينية معا ؟ ألم يكن فشل هذه الشخوص في ساحات المناظرة والحوار أمام حكامهم الذين اشتروا ذممهم وضمائرهم دليلا على أنها غير قادرة على حل مشاكل الحياة إن لم تكن وقودا في اشعالها وديمومتها أو تعقيدها وهو الحال اليوم في أكثر الساحات العربية. إن حاجة الساحة اليوم الى مساهمة العلماء والفقهاء والأئمة الأمامية –الذين أعطانا البحث نموذجا منهم ومن عطائهم الحضاري للإنسانية – حاجةٌ ماسة في معركة الحضارة الدائرة اليوم بين جهلة داعش والسعودية وقطر وبين الشعوب الاسلامية في العديد من البلدان العربية، إن معالجة العقول العفنة أو المؤدلجة بسياسة التطرف والحس القومي العنصري الطائفي المقيت من خلال نماذج حضارية كالتي تقدم بها البحث ومن خلال رؤيا قرآنية برزت فيه تعتبر السلاح المهم الذي يقف في جنب السلاح الجهادي الآخر في ازاحة خطرهم والخلاص منهم. وبعبارة اخرى إن مشروع الخلاص الذي يؤكد عليه البحث أخيرا هو مشروع مركب من مزج حبر القلم بحبر الدم وهي مهمة كبرى تقتضي أن يكون للساحة رجال كما يقول المعري في بيته الشعري السابق الذي قاله بحق الشريف المرتضى(قدس سره):

لو جئتَه لرأيتَ الناسَ في رجُل *** والدهرَ في ساعة والأرضَ في دار

أي أن الساحة الاسلامية اليوم تحتاج الى طاقة علمية واخلاقية تعيش همّ الناس كل الناس وتوجه جهدها بمسؤولية الاحساس بأن الأرض كل الارض تمثل دارا واحدة وأن العمر كل العمر يجب أن يكون ساعة في خدمة الحق والإنسان خالية من كل توان وتهرب من المسؤولية. وإن هذه الطاقات لا توجد حقا إذا تصفحنا التاريخ إلا في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ومن سار على نهجها من بني الانسان. فغاندي المصلح قائد ثورة تحرير الهند مثلا وإن كان هنديا إلا أنه تأثر بالحسين (عليه السلام) فقال: "تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما فأنتصر".وعالم الانثروبولوجيا الأمريكي وإن كان أمريكيا إلا أنه يعتقد أن فاجعة الحسين المأساوية في الطف أسست لآلاف المسرحيات المأساوية في العالم. وهكذا مع غير هؤلاء، وختاما ليس في جعبة الانسان من خبرة صالحة لحياته تدفع عنه الضر وتعالج له ما أشكل عليه غير خبرة الحضارة التي بناها دين الله وأولياء الله تعالى والتي هي رحمة للعالمين بعيدة عن روح العصبية القومية والطائفية وبعيدة عن منهج الارهاب الإجرامي وعن الكفر والنفاق والشرك والجهل والطغيان. نعم ليس في جعبة هذا الانسان من أمل للخلاص من كل ما أشكل عليه إلا أن يضع يد البيعة بيد الرحمة الإلهية المهداة اليه من الله جل ثناؤه تلك هي يد رسول

الله ويد آل بيت الرحمة من ذريته المطهرين من الدنس ويد معتمديهم بحق وصدق ويد من أرجعوا الناس اليهم. وصدق الله وشكرا له تعالى وهو يعلن عن مشروع خلاص هذا الانسان على وجه الارض الى يوم القيامة بقوله **[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ]**.

نتائج البحث

وتتلخص بما يأتي :

١- إنّ قعود الشر الذي يحطم الحضارات في طريق سيرها واجتهاد أهله لا يمتلك فاعليته مع البناة المخلصين لصرح الحضارة الدينية أبدا. لإن مصدر قوة الحضارة الدينية هو الله تعالى ومصدر قوة الحضارة الجاهلية هو الطاغوت، وأن الصراع القائم بين الخالق والمخلوق محكوم عليه بالنصر دائما للخالق ومن يؤمن به ويتعبد برسالته. ولأن الإعداد الميدانى لقادة الحضارة الدينية المخلصين دائما على مستوى من الكفاءة والجاهزية فى الأعصار والامصار كلها.

٢- إنّ الحضارة الدينية التى تتوفر على أبرز معالمها بقوة مرهون بقاؤها ببقاء العاملين بقيمها والمجاهدين فى سبيلها فى موقعى القلم والدم. وأنها لا تتقدم بانسانها على وجه الحقيقة إلا من خلال العلماء العاملين بكتاب الله والمستعصمين به وبعدله والمعصومين من الزلل والخطأ.

٣- إن المقولات الفلسفية الصحيحة والمنسجمة مع العقل والمنطلقة من الوعي العقلي والتى انتشرت بين سطور البحث كانت تمثل الروح الثانية لفكرة بقاء الحضارات الراقية للإنسان والعكس هو الصحيح ايضا.

Conclusion

Today the Islamic area to get rid of the evil that tampering to it needs to scientifical and ethical power that lives in all people's hopes, and put its attempts pure for God and with overtaking responsibility of essence border, and with spirituality that accommodate all the earth and far from the complacency spirituality and evaision from its bearing.

The search going around in treating that the religion presents it from Quranic thaught in solving human's problems, and it trusted in his moving between his searches and his orders somethings that is the most important from researcher's vision who is investigated the reasons of civilizational treatment, and that is first: explain the landmarks of Islamic civilization from bypassing the opposites of landmarks which is the polytheism and the blasphemy and the ignorance, and showed its role in human's safty and his happiness, and second: avoiding the obstacles of Islamic civilization through its resistance and eliminating them and exclusion it from life's theater, and third: sending out the practical side of establishers for declaring the Islamic civilization through review of several distinct models from Imami's knowledgable and their special Fuqahaa. And coming to an end to emphasizing on human's needs in to right civilization expert for his life repulse from him the harmness and treating for it what it complicated on it, and it is not from the researcher's vision but his need for sympathy of civilization that the religion of God and guardians of God Almighty build it with their sweats and their bloods and far from the spirit of neurological and sectarianism and from the criminal terrorism procedure and from the atheism and hypocrisy and polytheism, ignorance and tyranny, and emphasizing on homaging it and putting the hand in his hand and the hand of trustworthy persons on it.

الهوامش

(١) الري شهري، محمدي،ميزان الحكمة ج٤ ص٢٨٣٧ مسند أحمد:ج٤ ص٢٧٠ خصائص الوحي المبين / ابن البطريق: ص١٢، تفسير بن كثير: ج٤ ص٢١٨، مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤٢٤، البحار: ج٧١ ص٢٣٤، صحيح البخاري: ج٧ ص٧٨.

(٢) سنن الدارمي / عبدالله بن بهرام الدارمي: ج٢ ص٣٠٧صحيح البخاري: ج١ ص٩سنن ابن ماجة / محمد بن يزيد القزويني: ج١ ص ٢٦سنن الترمذي / الترمذي: ج٤ ص٧٦.

(٣) القصص: ٥٠ – ٥١.

(٤) الشورى: ١٣.

(٥) المائدة: ٥.

(٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج٨ ص١١٦.

(٧) النور: ٥٥.

(٨) الشورى: ١٣.

(٩) راجع: الصدر، اقتصادنا: ص٩٢.

(١٠) راجع: أبو رية محمود، أضواء على السنة المحمدية:ص٣٨٨.

(١١) نهج البلاغة: ص٣٩٣ عن مركز الرسالة/ دور العقيدة في بناء الإنسان: ص ٣٤.

(١٢) سعد أبو جبب، القاموس الفقهي: ص٣٤.

(١٣) الميرزا التبريزي، جواد، صراط النجاة: ج٢ ص٤٥٠.

(١٤) أعيان الشيعة: ج٣٢ ص١٢٤.

(١٥) فاطر:٢٤.

(١٦) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة: ص٥٩١.

(١٧) الاسراء: ٦٢.

(١٨) السبحاني، جعفر، محاضرات في الإلهيات: ص٣٠٠.

(١٩) الحسيني المغربي، إدريس، الخلافة المغتصبة: ص ٣٨، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج١هامش ص٥٦، الحسيني المغربي، إدريس، الخلافة المغتصبة، في أصل الكتاب لا توجد هوية الكتاب.

(٢٠) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٧٣.

(٢١) المؤمن:٢٨.

(٢٢) آل عمران/ ٢٨.

(٢٣) النحل: ١٠٦.

(٢٤) راجع: العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج٧٢ ص٤١٢–٤١٦ وراجع: الشيرازي، ناصر مكارم، القواعد الفقهية:ج١ ص٣٩٥–٤–٥.

(٢٥) السبحاني، جعفر، محاضرات في الإلهيات: ص٣٠١.

(٢٦) نفس المصدر: ص٣٠١.
(٢٧) المجلسي، بحار الانوار: ج١٨ ص٤١٣.
(٢٨) الطبرسي، مجمع البيان: ج ٩ – ص ٣٧.
(٢٩) البقرة: ٩٧.
(٣٠) الشلبي، أحمد، مقارنة الأديان: ص٢٨-٢٩.
(٣١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ١ / ٦٠ – ٦١، باب الرد إلى الكتاب والسنة، الحديث ٦ و ٧ و ٩.
(٣٢) نفس المصدر: ١ / ٦١.
(٣٣) نفس المصدر: ١ / ٦١.
(٣٤) الجلالي، محمد رضا، تدوين السنة الشريفة: ص٣٩.
(٣٥) آل عمران: ١٠٣.
(٣٦) الزبيق، جريشة، أساليب الغزو الفكري: ص٢٠.
(٣٧) الصوري، ابن طاهر، قضاء حقوق المؤمنين: تقديم حامد الخفاف، ص٥.
(٣٨) راجع: السبحاني، جعفر، أضواء على عقائد الشيعة الامامية: ص٢٤٣.
(٣٩) راجع: السبحاني، جعفر، كليات في علم الرجال: ص٣.
(٤٠) الاعراف: ١٦.
(٤١) ص: ٨٢.
(٤٢) الإسراء: ٥٣.
(٤٣) الحشر: ١٦.
(٤٤) النساء: ٦٠.
(٤٥) المائدة: ٩١.
(٤٦) راجع: الحنفي،علي محمد فتح الدين، فلك النجاة: ص ١٠٢.
(٤٧) البقرة: ٣١.
(٤٨) العلق: ١-٥.
(٤٩) الجلالي، محمد رضا، تدوين السنة الشريفة: ص٣٨.
(٥٠) نفس المصدر: ص: ص ٤٤ – ٤٥.
(٥١) الحجر: ١٥، الجلالي، محمد رضا، تدوين السنة الشريفة: ص٣٨-٣٩ بتصرف.
(٥٢) آل عمران: ١٠٣.
(٥٣) الرازي: تفسير الرازي: ج١٥ ص١٨٤-١٨٦.
(٥٤) الطوسي: التبيان: ج١ ص٢٩٢.
(٥٥) الطبرسي، تفسير مجمع البيان: ج ١ –ص ٢٤٩.
(٥٦) ابن عابدين، حاشية رد المحتار: ج ٤ –ص ٣٢٦.

(٥٧)النووي، محيى الدين، المجموع: ج ١٩ –ص ٣٥٥.
(٥٨) السرخسي، المبسوط: ج ١٠ –ص ١.
(٥٩) الأنفال: ٦٠.
(٦٠) المصري، ابن نجيم، البحر الرائق: ج ٥ –ص ١٥٠، راجع: الحصكفي، الدر المختار: ج ٤ –ص ٣٢٦.
(٦١) الطوسي، الاقتصاد: ص ٣١٤.
(٦٢) الطوسي، التبيان: ج١٠ ص٩٥.
(٦٣) المحقق الحلي، شرائع الإسلام: ج ١ –ص ٢٤٧ –٢٤٨.
(٦٤) سيد سابق، فقه السنة: ج ٢ –ص ٤٠٣.
(٦٥) راجع: النووي، محيى الدين، المجموع: ج ١٥ –ص ٤٩٧.
(٦٦) المائدة: ٢٨– ٣٦.
(٦٧) الشهرستاني، علي، وضوء النبي (ص): ج ١ –ص ٣٦٥ –٣٦٦.
(٦٨) الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج ١ –ص ٦٨.
(٦٩) راجع: الشهرستاني، علي، وضوء النبي (ص): ج ١ –ص ٣٦٦ –٣٦٧ بتصرف.
(٧٠) السيستاني، استفتاءات: ص ٢٢٥.
(٧١) راجع: المحقق الكركي، جامع المقاصد: تكملة مقدمة التحقيق: ص١١.
(٧٢) راجع: الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٤١ ص٥٨.
(٧٣) زين الدين، محمد أمين، كلمة التقوى: ج ٢ –ص ٣٣٨.
(٧٤) العلامة الحلي، الرسالة السعدية: ص٣١.
(٧٥) الخراساني، وحيد، منهاج الصالحين: ج ١ –ص ١٠١ –١٠٣.
(٧٦) الصدر، محمد باقر، اقتصادنا: ص٢١٣.
(٧٧) شبر، عبد الله، تفسير شبر: ص ١٠.
(٧٨) الفجر: ٢٠.
(٧٩) العاديات: ٨.
(٨٠) البقرة: ٨٦.
(٨١) الأعلى: ١٦– ١٧.
(٨٢) هود: ١٥.
(٨٣) الأحزاب: ٢٨.
(٨٤) البقرة: ٢٠١.
(٨٥) الشورى: ٢٠.
(٨٦) الشورى: ٢٠.
(٨٧) البقرة: ١٥٣.

(٨٨) الأنفال: ٦٥.

(٨٩) راجع: السبحاني، جعفر، في ظلال التوحيد: ص ٢١٠ بتصرف بسيط.

(٩٠) راجع: الصدوق، محمد بن الحسين، الهداية: ص مقدمة لجنة التحقيق ١٣٨ – مقدمة لجنة التحقيق ١٤١-١٤٢ بتصرف.

(٩١) راجع: المفيد، المسائل الصاغانية: مقدمة، ص ٩، راجع الكامل لابن الأثير: ج٩/ ص١٧٨ و ص٣٠٧.

(٩٢) راجع: البداية والنهاية:ج١٢ ص١٥، راجع: الطوسي، تهذيب الاحكام: ج١ ص٣٢.

(٩٣) راجع: التستري، محمد تقي، قاموس الرجال: ج ٩ ص ٥٥٢ – ٥٥٧.

(٩٤) راجع: التستري، محمد تقي، قاموس الرجال: ج ٩ ص ٥٥٢ – ٥٥٧.

(٩٥) راجع: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: .

(٩٦) المفيد، أوائل المقالات: هامش ص ٢٤٦، انظر: اليافعي، ابو السعادات عبد الله بن أسعد: ص٢٤٦.

(٩٧) نفس المصدر: ص٢٥٢ عن: الامتاع والمؤانسة: ج ١ –ص ١٤١، انظر تاريخ بغداد: ج٣ص٢٣١.

(٩٨) راجع: المفيد، المقنعة: ص ١٤، انظر: ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج١٢ص١٥.

(٩٩) نفس المصدر: ص ١٤ عن الغدير، الاميني: ج٣ ص٢٧٨.

(١٠٠) المرتضى، الانتصار: ص٢٩.

(١٠١) الصفدي، الوافي بالوفيات: ج٢٠ ص٢٣١.

(١٠٢) المرتضى، الانتصار: ص٢٩-٣٠.

(١٠٣) الطوسي، الرسائل العشر: ص١١-١٢.

(١٠٤) الاردبيلي، الفائدة والبرهان: ج١ ص١٩-٢٠، المحقق البحراني، الحدائق الناضرة:ج ٣ –ص ٤٤٧ – ٤٥٢.

(١٠٥) الاردبيلي، الفائدة والبرهان: ج١ ص٢٢.

(١٠٦) الرعد: ١٧.

(١٠٧) سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي: ص٣٤.

(١٠٨) د. أحمد رمضان أحمد، حضارة الدولة العباسية: ص٢ عن الشبيب، عبدالاله نعمة، ظاهرة تكذيب الانبياء من وجهة نظر القرآن الكريم: ص١٤(رسالة دكتوراه).

(١٠٩) صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي: ص١٠٦.

(١١٠) المفيد، المقنعة: هامش ص ٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- **ابن كثير الدمشقي**، أبو الفداء اسماعيل بن عمر(ت٧٤٤هـ) البداية والنهاية، طبعة: مصر، سنة الطبع:١٣٥١ هـ.

٢- **أبو رية**، محمود (ت ١٣٨٥هـ)أضواء على السنة المحمدية، الطبعة: الخامسة، الناشر: نشر البطحاء.

٣- **الأميني** (ت ١٣٩٢ هـ) الغدير،الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٩٧ – ١٩٧٧ م، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

٤- **التوحيدي**، أبو حيان،الامتاع والمؤانسة، طبعة: مصر، سنة الطبع: ١٩٣٩ م.

٥- **الجلالي**، محمد رضا (معاصر) تدوين السنة الشريفة، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٨ – ١٣٧٦ ش، المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

٦- **الحر العاملي**، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة،مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤، مطبعة: مهر –قم، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بقم المشرفة.

٧- **الخطيب البغدادي**، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ ببغداد) تاريخ بغداد، ط مصر.

٨- **الزيبق**، جريشة (معاصر) أساليب الغزو الفكري، الطبعة: الأولى.

٩- **السبحاني**، جعفر (معاصر) رسائل ومقالات، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق(ع) –قم.

١٠- **السبحاني**، جعفر، محاضرات في الإلهيات (معاصر) مؤسسة الإمام الصادق (ع). قم. ١٣٩٧ – ١٩٧٧ م، طبع ونشر: دار الإعتصام.

١١- **السبحاني**، جعفر(معاصر) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢١ الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (ع). قم.

١٢- **سعدى أبو حبيب**، القاموس الفقهي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨م، طبع ونشر: دار الفكر – دمشق – سوريا.

١٣- **الشريف المرتضى** (ت ٤٣٦ هـ) الانتصار، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، سنة الطبع: شوال المكرم ١٤١٥، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٤- **الشلبي**، أحمد (معاصر)، مقارنة الأديان، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٩٧٣ م، مطبعة السنة المحمدية، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة.

١٥- **شمس الدين**، محمد جعفر(معاصر) دراسات في العقيدة الإسلامية.الطبعة: الثانية،.سنة الطبع: ١٩٧٧ م، مكان الطبع: لبنان – بيروت.

١٦- **الشيرازي** (معاصر) ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. مكتبة أهل البيت (عليهم السلام).

١٧- **الصدر**، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، المطبعة: مطبعة الآداب، النجف الاشرف، سنة الطبع: ١٣٩٦ هـ.

١٨- **الصدر**، محمد باقر (ت ١٤٠٢ هـ)اقتصادنا،تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي – فرع خراسان الطبعة: الثانية،سنة الطبع: ١٤٢٥ – ١٣٨٢ش المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي).

١٩- **الصدوق** (ت ٣٨١ هـ) الهداية، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي (ع) الطبعة: الأولى، سنة الطبع: رجب المرحب ١٤١٨، المطبعة: اعتماد –قم، الناشر: مؤسسة الإمام الهادي (ع).

٢٠- **الصفدي** (ت ٧٦٤ هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، سنة الطبع: ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م، المطبعة: بيروت –دار إحياء التراث، الناشر: دار إحياء التراث.

٢١- **صموئيل هنتنغتون**، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، نظمه الى العربية د. مالك عبيد أبو شهيوة و د. محمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

٢٢- **الصوري**، إبن طاهر (ت ق ٦) قضاء حقوق المؤمنين، تحقيق: حامد الخفاف، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٢٣- **الطبرسي**، محمد بن الحسن (ت٥٤٨هـ) مجمع البيان، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥ – ١٩٩٥ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

٢٤- **الطوسي** (ت ٤٦٠هـ) الرسائل العشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم – ايران.

٢٥- **الكليني**، محمد بن يعقوب(ت ٣٢٩ هـ) الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٣٦٣ ش، المطبعة حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية –طهران.

٢٦- **مركز الرسالة**، دور العقيدة في بناء الإنسان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨، المطبعة: ستارة – قم، الناشر: مركز الرسالة – قم – ايران.

٢٧- **مركز المصطفى (ص)**، دور الفطرة والنبوة في الحياة الإنسانية، المكتبة الشاملة لأهل البيت (عليهم السلام) الكومبيوترية

٢٨- **المفيد** (ت ٤١٣ هـ) المقنعة، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٠، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٩- **المفيد** (ت ٤١٣هـ) أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ – ١٩٩٣ م، طبع ونشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

٣٠- **المفيد** (ت٤١٣ هـ) المسائل الصاغانية، تحقيق: السيد محمد القاضي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ – ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

٣١- **المفيد** (ت٤١٣هـ) الإرشاد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام للتحقيق والتراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ – ١٩٩٣ م، نشر وطبع: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

٣٢- **الوحيد البهبهاني** (ت ١٢٠٥ هـ)حاشية مجمع الفائدة والبرهان، تحقيق: مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: صفر المظفر ١٤١٧، المطبعة: أمير، الناشر: منشورات مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني.

٣٣- **اليافعي**، عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨ هـ) مرآة الجنان، طبعة: الهند، سنة الطبع: ١٣٣٨ هـ.